من بلاغة القرآن الكريم
في
حديثه عن موسى والخضر
عليهما السلام

إعداد

د/محمود ياسين عوض سيد شناوي

مدرس البلاغة والنقد في كلية

اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة

الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ

الأَحْزَابِ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد.

فمن المعلوم أنّ القرآن الكريم لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وأن المتأمل نظمه يدهشه جماله ، ويزداد عجبه ؛ لما يرى فيه من إعجاز يخرج عن طاقة البشر ، وهناك جانب يُبْرِز هذا بصورة واضحة، ويجعل القارىء في حيرة من أمره لما يجده من عجائب ؛ هذا الجانب هو الجانب القصصي ، فإنّك ترى فيه فروقا في التعبير ، ودقة في التصوير ، وروعة في التأثير.

من هنا اتجهت إلي الجانب القصصي في الذكر الحكيم لأتعلم منه ، وأبرز شيئا من بلاغته ، وكنت كلما أقرأ قصة موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ ، أقف أمامها متعجبا ، من دقة تعبيرها ، ولما أجده من مغايرة في اختيار ألفاظها ؛ من نحو قوله ـ تعالى ـ :﴿التغابن الطلاق التحريم الملك﴾ ، ثم عدوله إلى ﴿القارعة التكاثر العصر الهمزة﴾ ، وقوله : ﴿المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان﴾ ، ومخالفته إلى ﴿ الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى : ﴾﴿بسم﴾ بزيادة " لك " ، وكيف تحولت القرية في قوله ـ تعالى ـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله﴾ إلي مدينة في قوله : ﴿ الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور ﴾ والمكان فيهما

واحد ، ولِمَ أثبت التاء في الفعل"تستطيع" في قوله : ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة ﴾وحذفها في قوله : ﴿ الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار ﴾ ، و ما سرّ المخالفة في قول الخضر : ﴿ إبراهيم الحجر النحل ﴾إلى ﴿ يس الصافات ص الزمر غافر فصلت ﴾و﴿ الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم ﴾ ، وغير ذلك الكثير مما حوته القصة المباركة، لهذا وغيره اتجهت إلى دراسة نظم آيات هذه القصة المباركة ، سائلا المولى ـ عزّ وجلّ ـ أن يرزقنا الصواب ، وأن يعصمنا من الزلل .

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة محاور ، وخاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع ؛ ففي المقدمة ذكرت فيها سبب اختيار الموضوع وخطته ومنهجه ، وفي التمهيد ذكرت حديثا موجزا عن القصة في القرآن ، من حيث بلاغتها وتنوع طرائقها في التصوير ، ثم عرّفت بالخضر ـ عليه السلام ـ ؛ حيث إنّ خلافا وقع بين أهل العلم في نبوته وحياته ، فذكرت هذا ثم رجحّت ما يؤيّده الدليل ، ثم ذكرت الآيات ومعناها الإجمالي ، حتى تكون ركيزة في استخراج السمات البلاغية التي اشتملت عليها القصة المباركة ، ثم بيّنت علاقة هذه القصة بما قبلها .

وقد جاءت محاور البحث على النحو التالي :

- المبحث الأوّل : حديث موسى ـ عليه السلام ـ مع الفتى قبل لقاء الخضر.
- المبحث الثاني : لقاء موسى بالخضر ـ عليهما السلام ـ وحديثهما قبل الرحلة .

- المحور الثالث : محاورتهما في الرحلة .
- المحور الرابع : تأويل ما لم يستطع عليه صبرا .
- والخاتمة : ذكرت فيها أهم ما وصل إليه البحث من نتائج .

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي في استخراج السمات البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة.

وبعد فإني أسأل الله ـ تعالى ـ أن يسامحني علي ما وقعت فيه من خطأ أو تقصير ، أو أن أكون قد حملت كلامه على غير مراده ، وحسبنا أنه ـ تعالى ـ واسع المغفرة ، من اجتهد أثابه أخطأ أم أصاب ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تمهيد

أولا : القصة في القرآن الكريم

من المعلوم أنّ العمل القصصي تميل النفس إليه ؛ لما له من قدرة على جذب السامعين ، وإثارة خيالهم ، ونقلهم من واقعهم إلى أزمان موغلة في القدم ، ويزداد الأمر جمالا إذا وردت القصة في صورة أدبية رائعة ، يستطيع ناقلها أن يرويها في أفضل لفظ و أجمل عبارة ، ولن تجد كتابا يُحدّثك عن السابقين بطريقة تدهشك ، وتملأ صدرك روعة وهيبة كالقرآن ، فلم تعرف البشرية كتابا حوى قصصا وبرع في تصوير أحداثها كالقرآن الكريم ، يقول الشيخ سيد قطب : " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية؛ وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور؛ وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة؛ فيها الحياة، وفيها الحركة؛ فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة؛ وحتى ينقلهم نقلًا إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع؛ حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات؛ وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب؛

ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع. فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو؛ ....إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة. (١)

ولما كان القرآن الكريم على هذا الوجه المعجز في التصوير كان تأثيره على السامعين مظهرا من مظاهر إعجازه ، يقول الإمام السيوطي : " الوجه العشرون من وجوه إعجازه الروعة التي تلحق قلوبَ سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيْبَة التي تعْتَريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه، ويزيدهم نفوراً،............ وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذاباً، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه، وتصديقه به، قال تعالى: ﴿ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾(٢) .وقال تعالى:﴿ ﴾ سُورَةُ الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر ﴾.(٣)

والقصة في القرآن تعد عملا فنيًّا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه ، فهي وسيلة من وسائل القرآن في التعبير عن

---

(١)التصوير الفني في القرآن ٣٦ ، الناشر: دار الشروق ، الطبعة: الطبعة السابعة عشرة.

(٢) الزمر ٢٣

(٣)الحشر الآية ٢١ ، ينظرمعترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ١٨٢، ١٨٣ ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى: ٩١١هـ ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

أغراضه المختلفة ، وقد وردت في الذكر الحكيم علي ضربين ؛ إمّا أن تتكرر في مواضع متفرقة من كتاب الله . تعالى . ، وكلّ موضع يمثل مشهدا من مشاهد القصة ، فإذا وضعت هذا المشهد بجوار قرينه خرجت الصورة على أكمل وجه ، فالتكرار يكون لفائدة ، وقد ذكر الزركشي في كتابه " البرهان " فوائد تكرار القصص القرآني فقال :" وَإِنَّمَا كَرَّرَهَا لِفَائِدَة خَلَتْ عنه في الموضع الآخر وهي أمور....."[١] وذكر أكثر من عشرة فوائد لتكرار القصة ، وممن تحدّث عن فوائد التكرار في القرآن السيوطي في كتابه " معترك الأقران في إعجاز القرآن " ومما قاله :" وهو من محاسن الفصاحة.خلافاً لبعض من غلط.وله فوائد:....."[٢] ، وذكر فوائد رائعة ، ليس هذا مقام ذكرها .

وإمّا أن ترد القصة في موضع واحد من كتاب الله . تعالى . كما هو الحال في قصةذي القرنيين ، وسورة يوسف ، وقصة الذبيح إسماعيل مع أبيه إبراهيم . عليهما الصلاة والسلام . وقصة أصحاب الفيل ، وقصة موسى والخضر . عليهما السلام . والتي هي محل الدراسة ؛ فلم تتكرر هذه القصص في القرآن ، وإنما ذكرت في موضع واحد.

وقد بينت في السطور السابقة ما قاله أهل العلم عن فوائد التكرار ،

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢٥/٣ ، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى: ٧٩٤هـ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

(٢)معترك الأقران في إعجاز القرآن ٢٥٨/١ .

ولكنَّ السؤال لِمَ لم تتكرر هذه القصص كسابقها ؟

إنّ كلّ قصة من القصص التي لم تتكرر في الذكر الحكيم لها فائدة من ذكرها في المقام الذي وردت فيه ؛ كما سأذكر في علاقة قصة موسى والخضر بما سبقها ، وكيف كان ذكرها في هذا الموضع من السورة من الدقة بمكان ، ولكن نريد أن نقف على غرض عام يشمل كلَّ القصص الذي لم يتكرر، وقد قرأت بعضا مما قاله أهل العلم فوجدتهم يذكرون فائدة ذكر القصة في موضعها فحسب، دون إشارة إلي أهداف عامة كتلك التي قالوها في فوائد تكرارها ، ولم أجد أحدا ـ فيما أعلم ـ أشار إلي هذا الجانب إلاّ الإمام السيوطي رحمه الله ؛ جاء ذلك في حديثه عن السرّ في ذكر قصة يوسف ـ عليه السلام ـ في موضع واحد من القرآن ، دون أن تتكرر كغيرها ، فذكر عدة وجوه قال بها أهل العلم ، ثم ذكر وجها وبيّن أنّ هذا الوجه يصلح لقصة يوسف وغيرها من القصص التي لم تتكرر ؛ فقال : " وقد سئل: ما الحكمةُ في عدم تكرير قصة يوسف، وسَوْقها مساقاً واحداً في موضع واحد دون غيرها من القصص، وأجيب بوجوه:......... وجواب خامس، وهو أقوى ما يجاب به: أنَّ قصص الأنبياء إنما كُررت لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كَذَّبوا رسلهم، والحاجةُ داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول – صلى الله عليه وسلم –، فلما كذّبوا أنزلت قصة مُنْذرة بحلول العذاب ، كما حل على المكذبين، ولهذا قال تعالى في آيات: ﴿ فَطِرِ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ ﴾ (١) ، ﴿ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ

(١) الأنفال ٣٨

الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ [1].وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك، وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أهل الكهف، وقصة ذي القَرْنين ، وقصة موسى مع الخضر، وقصة الذّبيح.(٢) ، مفاد كلام السيوطي أنّ من فوائد التكرار الردّ على المكذبين ، ببيان حال من سبقهم ممن كذب الرسل ، فكلما كذبوا تكررت القصة حتى تكون زاجرا لهم ، غير أن الحال يختلف في قصة يوسف وقصة موسى والخضر ـ عليهم السلام ـ وغيرهما من القصص الذي لم يتكرر، ، حيث لم يقصد منها ما قصد في النوع الأول الذي تكرر ، لذا سيقت هذه القصص مساقا واحدا في موضع واحد من الذكر الحكيم .

---

(١) الأنعام ٦

(٢)معترك الأقران في إعجاز القرآن ٢٦٤ ، ٢٦٥

ثانيا : التعريف بالخضر

من المعلوم أن القصة القرآنية يتوافر لها كلّ مقومات العمل الأدبي الممتع ، غير أنّها تختلف عن غيرها بأنّ أصحابها من الواقع ، وليس من نسج الخيال وعمله كما هو شأن كثير من القصص ، وأصحاب هذه القصة هما موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ ، ونبي الله موسى هو أظهر من أن يُعَرَّف به هنا ، غير أنّ الحال يختلف عند الخضر ـ عليه السلام ـ فهو شخصية قد لا يعرفها بعضنا ،والرجل حقيقية ، وليس شخصية خيالية كما يُخَيّل للبعض ، فالكلام فيه كثير ؛ فمنهم من جعله نبيا ، ومنهم من نفى عنه النبوة ، وجعله عبدا صالحا ، ومنهم من قال بحياته إلي الآن ، ومنهم من قال بوفاته ، وفي هذه السطور نبيّن ما قاله أهل العلم فيه.

وفي ضبط كلمة " الخضر" لغتان ؛ ذكرهما الفيروزآبادي فقال :" وفيه لُغَتان: فَتْح الخاء وكَسْر الضَّاد: وكَسْر الخاء وسُكُون الضَّاد"(١) ،وقد بيّنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سر تسميته بهذا الاسم فقَالَ : "إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَة بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ"(٢)

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٧٦/٦ ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى المتوفى: ٨١٧هـ ، المحقق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، عام النشر: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.

(٢)صحيح البخاري ١٥٦/٤ ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

وهوصاحب موسى ـ عليه السلام ـ ، الذي ذهب إليه ليتعلّم منه ، وقد اختلف أهل العلم ـ كما ذكرت ـ في حياته ؛ أموجود هو بيننا أم مات ؟ فقال بعضهم بحياته ، وبعضهم بموته ، يقول الفيروزآبادي : " فقال الأَكثرون : هو حىٌّ موجود بين أَظْهُرِنا، وذلك مُجْمَعٌ عليه عند المشايخ والصّوفية وأَهل الصّلاح والمعرفة ، وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأَخذ منه وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أَكثر من أَن تحصر، وأَشهر من أَن تذكر. قال الشيخ أَبو عَمْرِو بن الصّلاح فى فَتاوِيه : هو حىٌّ عند جَماهِير العلماء والصّالحين والعامّة معهم فى ذلك " (١) ، وقد ورد في صحيح مسلم ما يفيد هذا ؛ جاء في حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن المسيح الدجال فقال :"..... فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ – أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ – فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ – قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ – أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ "، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: «يُقَالُ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٢] ، يقول الشيخ "محمد فؤاد عبد الباقي " في تعليقه على هذا الحديث : " أبو إسحاق هذا هو إبراهيم بن سفيان راوي الكتاب عن مسلم وكذا قال معمر

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٧٦/٦

(٢)صحيح مسلم ٢٢٥٦/٤ ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

في جامعه في إثر هذا الحديث كما ذكره ابن سفيان وهذا تصريح منه بحياة الخضر عليه السلام وهو الصحيح"[١].

وممن قال بحياته الدار قطني ؛ جاء ذلك في كتابه " المؤتَلِف والمختَلِف " فقد روى بسنده أنّ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال : " ونُسىء له في أجله حتى يكذب الدجال." [٢] ، وقد ذكر ابن حجر قول الدار قطني السابق منسوبا إليه ، ثم ذكر قول من ردّ ذلك فقال :" وقال أبو الحسين بن المنادي: بحثت عن تعمير الخضر، وهل هو باق أم لا ؟ فإذا أكثر المغفّلين مغترّون بأنه باق من أجل ما روى في ذلك ، قال: والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية، والسّند إلى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم .... الأخبار كلها واهية الصدور والأعجاز. حالها من أحد أمرين ؛ إما أن تكون أدخلت على الثقات استغفالا، أو يكون بعضهم تعمّد ذلك، وقد قال اللّه تعالى: ﴿ الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج ﴾[٣]. قال ولو كان الخضر حيّا لما وسعه التخلّف عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم والهجرة إليه. قال: وقد أخبرني بعض أصحابنا أنّ إبراهيم الحربي سئل عن تعمير الخضر فأنكر ذلك، وقال: هو متقادم

---

(١) السابق

(٢)المؤتَلِف والمختَلِف ٢/ ٨٢٧ ، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني المتوفى: ٣٨٥هـ، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر

الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

(٣) الأنبياء ٣٤

الموت، قال: وروجع غيره في تعميره، فقال: من أحال على غائب حيّ أو مفقود ميّت لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشّيطان. انتهى..............وروى عن البخاريّ أنه سئل عن الخضر وإلياس هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك، وقد قال النبي صلّى اللَّه عليه وسلّم في آخر عمره: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإنّ على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممّن هو اليوم عليها أحد» . واحتج ابن الجوزيّ أيضا بما ثبت في صحيح البخاريّ أنّ النبي صلّى اللَّه عليه وسلّم قال يوم بدر «اللَّهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» ولم يكن الخضر فيهم، ولو كان يومئذ حيّا لورد على هذا العموم، فإنه كان ممن يعبد اللَّه قطعا.واستدل غيره بقوله صلّى اللَّه عليه وسلّم: «لا نبيّ بعدي»(١) ، والذي تميل إليه نفسي في تلك المسألة ماذهب إليه أصحاب القول الثاني ؛ بأنه ليس حيّا إلى الآن ، وما ذكروه من أدلة يكفي لتأكيد صحة هذا القول ، وهو يتفق مع العقل والنقل.

أما عن كونه نبيا أو لا فقد جعله كثير من أهل العلم نبيا؛ منهم ابن حجر؛ حيث جعل في كتابه " الإصابة في تمييز الصحابة " بابا عنوانه "باب ما ورد في كونه نبيا"، وجاء فيه "قال اللَّه تعالى في خبره مع موسى حكاية عنه:﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾(٢) ، وهذا ظاهره أنه فعله

(١)الإصابة في تمييز الصحابة ٢٥٧، ٢٥٨، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى: ٨٥٢هـ ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

(٢) الكهف من الآية ٨٢

بأمر اللَّه، والأصل عدم الواسطة. فإن قلنا إنه نبيّ فلا إنكار في ذلك وأيضا فكيف يكون غير النبيّ أعلم من النبي ؟ وقد أخبر النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلّم في الحديث الصحيح أن اللَّه قال لموسى : "بلى، عبدنا خضر" .وأيضا فكيف يكون النبي تابعا لغير نبيّ ؟ وقد قال الثّعلبيّ: هو نبي في سائر الأقوال..... وقال أبو حيّان في تفسيره ، والجمهور على أنه نبيّ، "(١) ،وإلي هذا الوجه ذهب السيوطي ؛ حيث يقول :" ﴿ نُوحِ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ ﴾ هذا دليل على نبوءة الخضر، لأن المعنى أنه لم يفعل ما فعل إلا بأمر من الله ووحيهِ."(٢)

وجعله البعض وليا من الأولياء ؛ كالصوفية وغيرهم ، وأرى أنّ الأسلم في هذا أن نتوقف ؛ لأن ما جاء ليس له سند مرفوع يؤكده ، فلا نثبت له النبوة ، ولا ننفيه عنه ، فنقول ما أخبرنا به القرآن هو عبد صالح من عباد الله ، وقد رأيت الإمام النووي في كتابه " تهذيب الاسماء واللغات" في تعريفه بالخضر يذكر القولين دون أن يرجح أحدهما على الآخر(٣) .

---

(١)الإصابة في تمييز الصحابة ٢٤٦/٢

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ٣ /٣٦٥

(٣) ينظر تهذيب الأسماء واللغات ١٧٦/١، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى: ٦٧٦هـ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

ثالثا : الآيات ومعناها إجمالا.

هذه القصة المباركة تقع في اثنتين وعشرين آية من سورة " الكهف " وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى:

﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية

الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر

الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة

المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح

الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبإ النازعات عبس

التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية

الفجر البلد الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة

الزلزلة العاديات القارعة التكاثر العصر الهمزة الفيل بسم

الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ ۞ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن

الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ ۞ ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ۞ ﴾ ﴿ ﴾

﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ۞ ﴾ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء

المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد

إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج

المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم

لقمان السجدة الأحزاب سبإ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر

فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح

الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين ﴾[1]

المعنى الإجمالي للآيات : في هذه الآيات البينات يحدثنا القرآن الكريم عن موسى ـ عليه السلام ـ ، وقد أرشده الله ـ تعالى ـ إلي عبد صالح عند مجمع البحرين أعلم منه ، وطلب منه أن يتزوّد حوتا لتلك الرحلة ، وجعل فقده الحوت الذي تزوّده هو وفتاه آية على وجود هذا الرجل ، ففقدا الحوت فعادا فوجد هذا العبد ، فطلب موسى صحبته ، غير أنّ الخضر كان يعلم أنّ موسى ـ عليه السلام ـ لن يصبر على صحبته ؛ لأنه سيرى ما لا طاقة له به ، فبيّن موسى أنّه سيصبر ولن يعصي له أمرا ، فأخذ الخضر عليه عهدا وميثاقا أن لا يسأل عن شيء حتى يُحدث له منه ذكرا ، فانطلقا حتى ركبا سفينة حُمِلا فيها بغير أجر ، فخرقها الخضر ، فتعجل موسى ، وقال أخرقتها لتغرق أهلها ، فذكّره الخضر بالميثاق ، فطلب موسى أن لا يؤاخذه بنسيانه ، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله ، فلم يصبر موسى ، ومن له طاقة على رؤية صغير يقتل بلا ذنب ؟ ، فقال موسى : لقد جئت شيئا نكرا ، فما كان من الخضر إلاّ أن ذكّره مرة أخرى

---

(١) الكهف من الآية ٦٠ إلي الآية ٨٢

بالميثاق بينهما ، فشرط موسى على نفسه إن سأله بعد ذلك لا يصاحبه ؛ فقد بلغ العذر مبلغه ، فانطلقا حتّى وصل إلي قرية أهلها لئام ؛ استطعماهم فأبوا إكرامهما ، فوجد الخضر جدارا مائلا يريد أن يقع فأقامه ، فلم يصبر موسى مرة أخرى وسأل ، فما كان من الخضر إلا أن قطع الصحبة وبيّن له سرّ ما فعل ، فالسفينة كانت لمساكين يعملون في البحر وكان وراءهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، فأراد عيبها ليصرفه عنها ، والغلام كان أبواه مؤمنين فعلم أن الغلام سيكون سببا في كفر والديه لذا قتله ، رغبة في أن يبدلهما ربهما خيرا منه ، والجدار كان لغلامين يتيمين في المدينة وتحته كنز لهما فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ، ثم بيّن أن هذا رحمة من الله وما فعله عن نفسه .

وقد سلك الذكر الحكيم في بيان هذه المعاني أساليب رائعة تنطق ببلاغة القرآن وإعجازه ،وهو ما سيظهر . إن شاء الله تعالى . في الصفحات القادمة .

رابعا: علاقة هذه القصة بما قبلها

مما لا شك فيه أنّ كلّ آية في كتاب الله ـ تعالى ـ لها صلة وثيقة بما قبلها وبعدها ، فهي واصلة بين سابقتها ولاحقتها ، وعلى هذا النحو من الترابط بين أجزاء الكلام تأتى القصة القرآنية ، فهي واصلة بين معنيين ، سواء تكررت القصة في مواضع متفرقة من الذكر الحكيم ، أو جاءت أحداثها في موضع واحد كما في قصة موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ والتي هي محل الدراسة .

والنظرة الأولى في هذه القصة توهم صاحبها بأنّها قصة مستقلة عمّا سبقها ، وأنّ إيجاد علاقة بينها وبين سابقتها في السورة الكريمة ضرب من التكلف ، حتّى رأيت الشيخ ابن عطية يقول :" وقوله وَإِذْ قالَ مُوسى الآية ابتداء قصة ليست من الكلام الأول" (١) ، ولم يذكر لنا شيئا في المناسبة ، وسكوت بعض أهل العلم عن ذكر علاقة لهذه القصة بسابقها لا ينفي وجودها ، فالأمر يحتاج مزيدا من الصبر والأناة حتّى ندرك تلك العلاقة ، وإذا أردنا أن نقف على هذه العلاقة ، فإنّ هذا يلزمه أن نتتبع السياق الذي وردت فيه آيات القصة المباركة ، والتي هي اثنتان وعشرون آية تبدأ بقوله ـ تعالى ـ : ﴿الْمُنَافِقُونَ الْغَابِنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ﴾

---

(١)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٥٢٧، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد
الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر ﴾[١] ، وتنتهي .

بقوله تعالى . : ﴿ الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات

الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر

الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك

القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان

المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار ﴾[٢] .

وبالنظر في السياق العام لسورة " الكهف " نجد قصة موسى والخضر قد سُبِقت بقصتين ؛ الأولى هي قصة أصحاب الكهف ، والتي تبدأ بقوله . تعالى . :﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ ﴾[٣] ، و تنتهي بقوله . تعالى .: ﴿ ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة ﴾[٤]

---

(١) الكهف ٦٠

(٢) الكهف ٨٢

(٣) الكهف ٩

(٤) الكهف ٢٦

والقصة الثانية هي التي حدّثنا فيها القرآن الكريم عن الكافرين لمّا تكبروا على فقراء المسلمين بأموالهم وأولادهم ، فساق الله ـ تعالى ـ هذا المثل ، والذي يبدأ بقوله ـ تعالى ـ :﴿ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ ﴾[1] ، وينتهي بقوله ـ تعالى ـ :﴿ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ ﴾[2]

إنّ من يطالع سياق القصتين السابقتين يجد قصة موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ ذات صلة وثيقة بهما ، فليست بمعزل عنهما ، فهي حلقة من سلسلة محكمة ، فهي نافعة في تأكيد مضمون هاتين القصتين ، وقد بيّن الرازي ـ رحمه الله ـ تلك العلاقة بقوله :" اعْلَمْ أَنَّ هَذَا ابْتِدَاءُ قِصَّةٍ ثَالِثَةٍ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَهِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَهَبَ إِلَى الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ كَلَامًا مُسْتَقِلًّا فِي نَفْسِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُعِينُ عَلَى مَا هُوَ الْمَقْصُودُ فِي الْقِصَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ. أَمَّا نَفْعُ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ افْتَخَرُوا عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْصَارِ، فَهُوَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ كَثْرَةِ عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَاسْتِجْمَاعِ مُوجِبَاتِ الشَّرَفِ التَّامِّ فِي حَقِّهِ ذَهَبَ إِلَى الْخَضِرِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَتَوَاضَعَ لَهُ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوَاضُعَ خَيْرٌ مِنَ التَّكَبُّرِ، وَأَمَّا نَفْعُ هَذِهِ

---

(١)الكهف ٣٢

(٢)الكهف ٤٤

الْقِصَّةِ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ فَهُوَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِكُفَّارِ مَكَّةَ : إِنْ أَخْبَرَكُمْ مُحَمَّدٌ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَهُوَ نَبِيٌّ وَإِلَّا فَلَا، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ نَبِيًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِجَمِيعِ الْقِصَصِ وَالْوَقَائِعِ، كَمَا أَنَّ كَوْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا صَادِقًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْخَضِرِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ فَظَهَرَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ قِصَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِنَفْسِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ نَافِعَةٌ فِي تَقْرِيرِ الْمَقْصُودِ فِي الْقِصَّتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ. "(١)

مفاد كلام الرازي أنّ هذه القصة ترشد المخاطبين من أهل مكة الذين تكبروا على فقراء المسلمين بالتواضع ، فموسى ـ عليه السلام ـ نبي الله ـ تعالى ـ وكليمه لم يجد حرجا في أن يذهب لعبد من عباد الله ـ تعالى ـ ، ويأخذ العلم منه ، كما ردت القصة على من سألوا النبي محمدا ـ صلّى الله عليه وسلم ـ عن أهل الكهف ، وعلقوا إثبات نبوته على إخباره لهم بحالهم، فكيف ينكرون نبوته إن لم يخبرهم بشيء ، ولا ينكرون على موسى ـ عليه السلام ـ نبوته وقد غاب عنه أشياء .

وقد ذكر البقاعي المعنيين السابقين وزاد أمورا فقال : " ولما قدم الكلام على البعث، واستدل عليه بابتداء الخلق، ثم ذكر بعض أحواله، ثم عقبه بما ضرب لذلك وغيره من الأمثال، وصرف من وجوه الاستدلال، وختم ذلك بأنه يمهل عند المساءة، عقب ذلك بأنه كذلك يفعل عند المسرة ،

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٧٧/٢١، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

فلكل شيء عنده كتاب، وكل قضاء بقدر وحساب، فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما اتفق له في طلبه، وجعله سبحانه له الحوت آية وموعداً للقائه، ولو أراد سبحانه لقرب المدى ولم يحوج إلى عناء، مع ما فيها من الخارق الدال على البعث، ومن الدليل على أن من ثبت فضله وعلمه لا يجوز أن يعترض عليه إلا من كان على ثقة مما يقوله من ربه ولا أن يمتحن، ومن الإرشاد إلى ذم الجدل بغير علم، ووجوب الانقياد للحق عند بيانه، وظهور برهانه، ومن إرشاد من استنكف أن يجالس فقراء المؤمنين بما اتفق لموسى عليه السلام من أنه – وهو كليم الله – أتبع الخضر عليه السلام ليقتبس من علمه، ومن تبكيت اليهود بقولهم لقريش لما أمروهم بسؤال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم «إن لم يخبركم فليس بنبي» الموهم للعرب الذين لا يعلمون شيئاً أن من شرط النبي أن لا يخفى عليه شيء، مع ما يعلمون من أن موسى عليه السلام خفي عليه جميع ما فعله الخضر عليه السلام "(١)

بهذا يتبيّن أنّ تلك القصة المباركة ليست بمعزل عن سابقتها ، وإنّما هي حلقة في سلسلة محكمة ، ونور يسري ضوؤه فيما يسبقه ويلحقه .

---

(١)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٢/ ٩٥ ، ٩٦ ، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى: ٨٨٥هـ ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

المحور الأوّل

حديث موسى ـ عليه السلام ـ مع الفتى قبل لقاء الخضر

هذا المحور يمثله قوله . تعالى . :﴿ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴾﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ (١)

يعدُّ هذا المحور من أوجز محاور هذه القصة المباركة ؛ حيث إنّ الهدف هو لقاء الخضر . عليه السلام- وحوار موسى مع فتاه كان تمهيدا لهذا اللقاء ، ومع ذلك بُنِي هذا المحور بطريقة بديعة تجعل السامع وكأنّه حاضر هذا المشهد ، وسامع لأجزائه.

أوّل ما يطالعك فى هذا المحور قوله . تعالى . :﴿ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ ﴾ ،ومعني "لا أبرح" لا أزال، وقد حذف الخبر على هذا الوجه ، يقول الزمخشري : "وقد حذف

(١) الكهف ٦٠/٦٤

الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه . أما الحال فلأنها كانت حال سفر ، وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هى غاية له ، فلأبد أن يكون المعني : لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين "(١) ، وفي حذفه دلالة على السرعة والخفة التى كان عليها موسى – عليه السلام– ، وشدة شوقه للقاء العبد الصالح ، فأخذي يطوي من الكلمات ما يجعله يصل لمراده سريعا .

وذكر الزمخشري وجهًا آخر فى حذف الخبر حيث يقول :"ووجه آخر وهو أن يكون المعني لا يبرح مسيري حتى أبلغ ، على أن حتى أبلغ هو الخبر ، فلما حذف المضاف أُقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم، فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ". (٢)

هذا وقد ذكر الزمخشري أن هذا الوجه لطيف دون أن يبين سرَّ لطفه، وأرى بلاغة هذا الوجه ترجع إلى ما فيه من تأكيد لعزم موسى – عليه السلام – وتصميم على مراده ، وأنه لن يثنيه عن بغيته شيء ، ويأتي هذا التأكيد من تكرار الإسناد ؛ حيث أسند الفعل من جهة اللفظ إلى ضمير المتكلم "لا أبرح " ، وإلى المقدر المحذوف "يبرح مسيري " من جهة المعنى ، وقد ذكر هذين الوجهين أبوحيان –رحمه الله – ثم قال: " وَهُمَا وَجْهَانِ خَلَطَهُمَا الزَّمَخْشَرِيُّ: أَمَّا الْأَوَّلُ: فَجَعَلَ الْفِعْلَ مُسْنَدًا إِلَى الْمُتَكَلِّمِ لَفْظًا وَتَقْدِيرًا وَجَعَلَ الْخَبَرَ مَحْذُوفًا كَمَا قَدَّرَهُ ابن عطية وحَتَّى أَبْلُغَ فَضْلَةٌ

---

(١) الكشاف ٢/٧٣١

(٢) الكشاف

مُتَعَلِّقَةٌبِالْخَبَرِ الْمَحْذُوفِ وَغَايَةٌ لَهُ.وَالْوَجْهُ الثَّانِي جَعَلَ لَا أَبْرَحُ مُسْنَدًا مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ، وَمِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى إِلَى ذَلِكَ الْمُقَدَّرِ الْمَحْذُوفِ "(١)

وقوله : "أمضي" معطوف على "أبلغ " بالحرف " أو " ، وقد بيَّن الشيخ ابن عاشور معناه وسر العطف به فقال : " وَعُطِفَ أَمْضِيَ عَلَى أَبْلُغَ بِ (أَوْ) فَصَارَ الْمَعْطُوفُ إِحْدَى غَايَتَيْنِ لِلْإِقْلَاعِ عَنِ السَّيْرِ، أَيْ إِمَّا أَنْ أَبْلُغَ الْمَكَانَ أَوْ أَمْضِيَ زَمَنًا طَوِيلًا. وَلَمَّا كَانَ مُوسَى لَا يُخَامِرُهُ الشَّكّ فِي وُجُودِ مَكَان هُوَ مجمع للبحرين وَالْفَاء طِلْبَتِهِ عِنْدَهُ، لِأَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ بِوَحْيِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِحَرْفِ التَّرْدِيدِ تَأْكِيدَ مُضِيِّهِ زَمَنًا يَتَحَقَّقُ فِيهِ الْوُصُولُ إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ. فَالْمَعْنَى: لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ بِسَيْرٍ قَرِيب أَوْ أَسِيرُ أَزْمَانًا طَوِيلَةً فَإِنِّي بَالِغٌ مجمع الْبَحْرين لَا محَالة، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ بِهَذَا تَأْيِيسَ فَتَاهُ مِنْ مُحَاوَلَةِ رُجُوعِهِمَا، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ "بَعْدُ لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً "(٢) .أَوْ أَرَادَ شَحْذَ عَزِيمَةِ فَتَاهُ لِيُسَاوِيَهُ فِي صِحَّةِ الْعَزْمِ حَتَّى يَكُونَا عَلَى عزم مُتحد."(٣)

فحرف الترديد أفاد تأكيد مضيّه زمنا ، وأنّه لا يثنيه عن هدفه شيء، وكأنّه أراد أن يهمس في أذن فتاه ، بأننا لا نعود حتّى نجد بغيتنا ، مهما

---

(١) البحر المحيط ، ت :صدقي محمد جميل ، الناشر : دار الفكر بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

(٢) الكهف ٦٢

(٣) التحرير والتنوير ٣٦٥/١٥ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ هـ.

أصابنا من التعب .

وقوله :﴿ الجن المزمل المدثر ﴾ الحقب معناه السنة ، وقيل إنه ثمانون سنة ، وقيل هو الدهر(١) ، والزمن هنا ليس مقصودا لذاته ، وإنما هودليل على شدة عزمه ، واستسهاله الصعب مهما كانت المشقة ، ومهما استغرق من زمن فلن يثنيه عن طلبته شيء ، يقول صاحب الظلال : "فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول. وهو يعبر عن هذا التصميم بما حكاه القرآن من قوله: «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً» والحقب قيل عام، وقيل ثمانون عاما. على أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد."(٢)

قوله – تعالى – : ﴿ الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق ﴾ ، الفاء فى قوله : " فلمّا" فصيحة ؛ حيث أفصحت عن جملة محذوفة تقديرها " فانطلقا فلمّا بلغا " ، وبلاغة حذف الجملة السابقة تتمثل فى طي الحدث سريعا ، والوصول لبغيته من أقرب طريق ، مع ما فيها من عنصر المفاجأة ، وبذلك يعيش السامع فى أجواء تلك الرحلة المباركة ، حيث ترى فيها عنصر المفاجأة واضحا ، ففى الآية الأولى من القصة لم يعلم السامع إلا

---

(١) لسان العرب :حقب

(٢) فى ظلال القرآن ، الناشر : دار الشروق – بيروت – القاهرة ، الطبعة : السابعةعشر ١٤١٢هـ.

تصميم موسى وعزمه على ما أراد ، ولم تخبرنا الآية بأكثر من هذا ، ولم نعلم ماذا جرى بين موسى وفتاه من حوار وهما يمشيان ،و ما تزوّداه للرحلة من طعام ، وكيف قطعا تلك الرحلة حتى وصلا مجمع البحرين ، وما الزمن الذى استغرقته ، إنها أمور مجهولة لنا، ولم يُعط القاريء فرصة ليفكر فيها ؛ حيث إن هذه الأمور لا تعنيه ولا تشغله وإنما يشغله ما يشغل موسى _عليه السلام _ وإذا بالسامع يجد نفسه فجأة عند مجمع البحرين دون مشقة أوعناء ، كل هذا يرشدك إليه حذف الجملة السابقة .

والآية السابقة فيها من الإيجاز ما فيها ؛ حيث إنها حوت ثلاثة مشاهد فى أوجز عبارة ، ففى المشهد الأوّل أخبرتك بأن موسى وفتاه سارا حتى بلغا مجمع البحرين مع ما فى هذا المشهد من أحداث ترك ذكرها ، وفى المشهد الثانى أخبرك بما تزوّداه من طعام ، ونسيانهما له ، وفى المشهد الثالث ما كان من شأن حوتهما حيث اتخذ سبيله فى البحر سربا.

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أسند فيه النسيان لموسى _عليه السلام _ وفتاه معا ، والفعل لم يقع إلاّ من الفتى ؛ وذلك لما فيه من التغليب ، يقول صاحب جامع البيان : " وإنما جاز عندي أن يقال: (نَسِيا)لأنهما كانا جميعا تزوّداه لسفرهما، فكان حمل أحدهما ذلك مضافا إلى أنه حمل منهما، كما يقال : خرج القوم من موضع كذا، وحملوا معهم كذا من الزاد، وإنما حمله أحدهما ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك إلى جميعهم، فكذلك إذا نسيه حامله في موضع قيل: نسي القوم زادهم، فأضيف ذلك إلى الجميع بنسيان حامله ذلك، فيجرى الكلام

على ذلك الجميع، والفعل من واحد، فكذلك في قوله: (نَسِيَا حُوتَهُمَا) لأن الله عزّ ذكره خاطب العرب بلغتها، وما يتعارفونه بينهم من الكلام." (١)

ونكتة أخرى في إسناد النسيان له هي تنبيه موسى_عليه السلام_ ولفته إلي أن الإنسان _مهما بلغ علمه _ يصيبه ما يصيب عوام الناس، فقد سُئِل موسى عن أعلم أهل الأرض فقال: أنا، يقول ابن عباس :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: لاَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجُعِلَ لَهُ الحُوتُ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ يَتْبَعُ أَثَرَ الحُوتِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) ، فَقَالَ مُوسَى: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ} ،(٢) فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ "(٣) يقول الرازي : "وَعِنْدِي فِيهِ جَوَابٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا اسْتَعْظَمَ عِلْمَ نَفْسِهِ أَزَالَ اللَّهُ عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ هَذَا الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ تَنْبِيهًا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا

---

(١) جامع البيان فى تأويل القرآن ، ت : أحمد محمد شاكر ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) الكهف ٦٤

(٣) صحيح البخارى ، باب : موسى مع الخضر عليهما السلام ، ت :محمد زهير بن ناصر ، الناشر : دار طوق النجاة ، ط ، الأولى.

بِتَعْلِيمِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ عَلَى الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ" (١)

وكأنّ هذا يلفت نظر موسى _عليه السلام _ إلى ما صدر منه ؛حيث تعجل ونفى أن يكون فى الأرض من هو أعلم من ، فكيف بأعلم أهل الأرض ينسى؟ .وفى هذا تعريض باليهود عندما قالوا : إن أخبركم محمد عن أهل الكهف فهو نبي وإلاّ فلا ، وهذا ليس بشيء إذ لا يلزم من كونه نبيا أن يحيط بكل شيء ، فهذا نبيهم موسى _عليه السلام _نسي شيئا يعلمه، وهم يعلمون ذلك ولا يقدح ذلك فى نبوته ، وهم يقرّون برسالته ، فَلِمَ يقبلون هذا من موسى ؟ وينكرون نبوة محمد _ صلى الله عليه وسلم_ لو لم يخبرهم بنبأ موسى مع الخضر ، مع أنه شيء لاعلم له به من قبل.

وقدعطف جملة :﴿ الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق ﴾ بالفاء للدلالة على سرعة وقوع الفعل ، وهذا يتناسب مع المقام من أجل الوصول للهدف سريعا ، والفاء فى هذين الموضعين ساعدت على طي الحدث سريعا والوصول إلى المراد من أقرب طريق ؛ من خلال حذفها لكلام يفهم بحذفه، يقول الشيخ الخضري : " لعل أهم ما تمتاز به الفاء من بين حروف العطف هو كثرة الحذف معها ، لذلك كثر ورود الفاء فى القصص القرآنى حين تتكرر القصة مبنية على الإيجاز بطيّ بعض أحداثها ، اعتمادا على ذكرها فى موضع آخر ، ورعيا لمناسبة خاصة ، تقتضي إبراز بعض الأحداث ، وحذف بعضها الآخر ،وقد كثر ورود هذه الفاء فى

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٨٠/٢١

السورة المكية قياسا على السور المدنية، لابتناء السور المكية على القصد فى اللفظ ، حيث كانت أكثر خطاباتها موجهة إلى المشركين من العرب ، وهم قوم تميل طباعهم إلى الإيجاز .(١)

ومعنى سربا : مسلكا، أي اتخذ الحوت مسلكا إلى البحر، وفى إعراب " سربا" وجهان ذكرهما النّحاس حيث يقول : "سَرَباً مصدر دلّ عليه «اتّخذ» كما تقول: هو يدعه تركا.ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا، كما يقال: اتّخذت زيدا وكيلا، ومثله اتّخذت مكان كذا وكذا طريقا."(٢)

وقد ذكر أبو حيّان وجها ثالثا ؛ وهو أن يكون الكلام على التشبيه ، حيث يقول: "وَشُبِّهَ بِالسَّرَبِ مَسْلَكُ الْحُوتِ فِي الْمَاءِ حِينَ لَمْ يَنْطَبِقِ الْمَاءُ بَعْدَهُ بَلْ بَقِيَ كَالطَّاقِ، هَذَا الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ."(٣)

وإلي هذا ذهب ابن عاشور إذ يقول: " وَقَدِ انْتَصَبَ سَرَباً عَلَى الْحَالِ مِنْ سَبِيلَهُ مُرَادًا بِالْحَالِ التَّشْبِيهُ، كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:"(٤)

---

(١) من أسرار حروف العطف فى الذكر الحكيم الفاء ، ثم . ص ٧٥، الأستاذ الدكتور محمد الأمين الخضري، الناشر : مكتبة وهبة .

(٢) إعراب القران للنحاس ، ٢|٣٠٠ ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم

الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

(٣) البحر المحيط ، ت : صدقي محمد جميل ، الناشر : دار الفكر – بيروت١٤٢٠هـ

(٤) التحرير والتنوير

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا ... نَسِيمَ الصِّبَا جَاءَتْ بِرِيَّا الْقَرَنْفُلِ(١)

والوجه عندي ما ذهب إليه أبو حيّان وابن عاشور ؛ بانتصاب " سربا " على الحالية من المفعول به "سبيله " ، والمراد تشبيه السبيل بالسرب ، وإنّما كان هذا الوجه أولى من غيره ؛ لأنّ المقام يقتضيه من جهتين ؛ الأولى : الحوت كان مقيدا أي ممسوكا فانفلت ، وجري ما كان مقيدا أسرع من جري غيره ، ولا يبيّن مقدار هذه السرعة إلاّ الحمل على التشبيه ، إذ يكون بالتشبيه أظهر وأفصح ، الثانية : تصريح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه الشريف ، الذي بيّن فيه ما سكت عنه الذكر الحكيم ، والسنة مبيّنة للقرآن كما هو معلوم ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"..... وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَل ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُون ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا، فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الحُوتُ فَخَرَجَ، فَسَقَطَ فِي البَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَقَالَ: هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ "(٢)

بهذا يتبيّن لنا أنّ هذا الوجه أولى من غيره ؛ لأنه وافق ما جاء

---

(١)ضاع الطيب وتضوّع إذا انتشرت رائحته. الريّا: الرائحة الطيبة.
يقول: إذا قامت أم الحويرث وأم الرباب فاحت ريح المسك منهما كنسيم الصبا إذا جاءت بعرف القرنفل ونشره. شبه طيب رياهما بطيب نسيم هبّ على قرنفل وأتى بريّاه. شرح المعلقات السبع للزوزني ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) صحيح البخاري ١٥٤/٤

به الحديث الشريف ، والحمل عليه أفضل من المخالفة له .

قولـــه _ تعَالَى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ يحكي مشـهدا جديدا من مشاهد تلك الرحلة المباركة ؛ وهي تلك اللحظة التي طلب فيها موسى من فتاه الطعام الذي تزوّداه لتلك الرحلة .

والآية الكريمـة تمضي علـى نـهج ما سبقها من عطف بالفـاء فـى " فَلَمَّا "؛ وهذا يتفق والمبادرة إلى المقصود سريعا ، وفيـه إشارة إلـى همّـة موسى _ عليه السلام – وأنـه لم يشغله عن بغيته شاغل ؛ حيث جاءت الألفاظ موجزة طوت الأحداث سريعة ؛ حتّى يصل موسى وفتاه إلى بغيتهما سريعا.

ومن الملاحظ فـى الآيـة الكريمـة تقديم للجار والمجرور " مِن سَفَرِنَا هذا " على المفعول " نَصَبَا" ولم يقل :" لَقَد لَقِينَا نَصَبًا مِن سَفَرِنَا هَذَا " ؛ وإنمـا قدم المجرور علـى المفعول لنكتـة لفظيـة وأخرى معنويـة ، اللفظيـة تتمثل فـى المحافظـة علـى الفاصلـة ، وهـى من الأهميـة بمكان ؛ حيث إن فيهـا أُنسـا للـنفس ، ووقعـا طيبـا علـى الأذن ، ونكتـة معنويـة تتمثـل فـى استسـهالهما الصـعب مـن أجـل أن يظفـرا ببغيتهمـا ، وأنّ تعلقهمـا الشـديد بلقـاء الخضـر – عليـه السـلام – قـد أنسـاهما تعب الطريـق ، فلـم يشـعرا بالتعب إلاّ بعد أن وصلا مكانا بعيدا ، ولك أن تقول :" لقد لقينـا نصبا من سـفرنا " سـتجد المشـقة حـائلا بـين بلـوغ هـدفهما ، وفيـه مـن استصـعاب للرحلـة مـا فيـه ، وهذا لا يتفق وقول موسـى – عليـه السلام – لفتـاه : "

﴿ التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر ﴾

، وقد قلت فيه إنه تعبير عن التصميم ، واستسهال للصعاب ، فينبغي أن يذكر فى الكلام ما يؤكد ذلك ، وأن يجعل النصب آخر الكلام .

هذا وهناك عدة أمور يجب التنبيه عليها فى تلك الآية ؛ منها التاكيد ب "لَقَد" والمخاطب –الفتى– على شاكلة موسى من التعب ، سر مجيء اسم الإشارة "هَذَا " ، والتعبير ب " لَقِينا " دون "وجدنا " أوغيرها مما يؤدي المعنى.

وإنما جاء التأكيد ب " لقد" للتنبيه على أن المتكلم _ موسى _عليه السلام _ قد أصابه ما أصاب فتاه من التعب ، فكما شاركه فى النسيان فلا مانع أن يجري عليه التعب ، وفيه إشارة للمخزى من القصة ؛حيث قال موسى _عليه السلام _ إنه أعلم أهل الأرض فأصابه النسيان والنصب ، ولم يقدح ذلك فى نبوته.

وفى مجيء اسم الإشارة دلالة على أن موسى لم يقصد فى سفره غيره ، وأن التفكير كان محصورا عليه ، يقول البيضاوي :" وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الإشارة."(١)

وفى التعبر ب " لقينا " شيء من المفاجأة ؛ حيث إنك تشعر أن النصب فاجأ موسى وفتاه ولم يشعرا به إلاّ فى هذا المكان ، وفى هذا إشارة إلى التعلق الشديد بلقاء العبد الصالح ، وأنّ كل شيء دون هدفهما لا محل له فى القلب ، ولا أثر له على الجسد من نصب أو غيره ، يؤكد

---

(١) أنور التنزيل وأسرار التأويل ، ت :محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي _ بيروت ، الطبعة : الأولي : ١٤١٨هـ.

هذا المعنى قوله _ تعالى_:﴿ ( ) ( ) ﴾ ؛ حيث قال : " فَوَجَدَ ا" دون أن يقول : "فلقيا"كما قال : " لَقَدْ لَقِينَا " ، فلمّا كان لقاء العبد الصالح هدفا لهما تمكن الفعل منهما ، فصار حالهما حال من يبحث عن شيء عريز فوجده ، فجاء التعبير " فَوَجَدَا" ، ولما أنساهما اللقاءُ الطعامَ والتعبَ قال:"فَلَقِيَا".

قولــــه _ تعــــالى _ : "﴿ صدق الله العظيم بِسْــــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْــــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْـــمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ ، الآية تذكر ردّ الفتى على موسى ـ عليه السلام ـ لمّا طلب منه الطعام بعد أن تمكّن منهما التعب .

والآية الكريمة اشتملت على عدة أمور ، منها الاستفهام فى قوله : ﴿ العظيم ﴾ ، وسرالتأكيد ب ﴿ بِسْـــــــمِ ﴾ الجملة المعترضة﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْـــمِ اللَّهِ ﴾ بين المعطوف والمعطوف عليه ، سر العطف بالواو فى ﴿ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ دون الفاء كما سبق فى قوله: ﴿ الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق ﴾ .

الاستفهام السابق تلمح فيه معني التعجب والدهشة ؛ حيث إنّ نسيان الحوت فى هذا المقام يدعو للعجب ، فلم يكن هناك مايشغل الفتى حتى ينسى زادهما، وكيف يعود الحوت المشويُّ إلى الحياة ويأخذ طريقه فى البحر سربا ثم ينسى أن يخبر به موسى عليه السلام ؟! ولمّا كان هذا أمرا عجيبا لا يُنسى ، بيّن أنّ النسيان لا طاقة لا به ، ولا يستطيع دفعه

عن نفسه أكّد الكلام فقال :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، ثم ارتقى درجة أخرى في تأكيد نسيانه ؛ فجاء بتلك الجملة المعترضة ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ ، حيث إنهاكالعذر للنسيان ، أي لاطاقة لي بذلك ، يقول الرازي:" وَالسَّبَبُ فِي وُقُوعِ هَذَا الِاعْتِرَاضِ مَا يَجْرِي مَجْرَى الْعُذْرِ وَالْعِلَّةِ لِوُقُوعِ ذَلِكَ النِّسْيَانِ."(١)

وقوله :﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ بدل اشتمال من الهاء فى قوله : ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ ﴾ يقول الزجاج " أَنْ أَذْكُرَهُ بدل من الهاء لاشتمال الذكر على الهاء فى المعنى ، والمعنى وما أنساني أن أذكره إلّا الشيطان"(٢) ،وبلاغة هذا البدل تأكيد لوسوسة الشيطان ، وقدرته فى إيقاع النسيان على الفتى ؛ فما حدث له لا طاقة له به ؛ حيث إن مثل هذه الآية – وهى عودة الحياة إلى الحوت بعد موته وجريه فى الماء من العجائب التى لاتنسى – ومع ذلك أنساه الشيطان ، فالبدل تأكيد لعذر النسيان ، فشأن البدل هنا شأن التأكيدفى قوله : "فَإِنِّي نَسِيتُ " .

وقد عطف بالفاء فى الآية الأولى " فَاتَّخَذَ" دلالة على التعقيب وسرعة مباشرة الفعل كما سبق ذكره ، أما الآية الثانية فإن معنى التعقيب قد زال بمجيء الجملة المعترضة ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ فجاء

---

(١) السابق ٢١/٤٨٠

(٢) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٠٠

بالواو لأن معنى التعقيب قد زال ، يقول الفيروز آبادي :" قوله: {نَسِيَا حُوتَهُمَا فاتخذ سَبِيلَهُ فِي البحر} والآية الثالثة {وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البحر} لأَنَّ الفاءَ للتعقيب والعطف، فكان اتخاذ الحوت السّبيلَ عقيب النِّسيان، فذُكِر بالفاءِ و فى الآية الأُخرى لمَّا حيل بينهما بقوله: {وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشيطان أَنْ أَذْكُرَهُ} زال معنى التعقيب وبقى العطف المجرّد، وحرفه الواو(١) .

ثم يأتي ختام هذا الحوار بين موسى وفتاه ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِمِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ،هذا الآية هى آخر لقطة تجمع موسى _عليه السلام _ مع فتاه فى هذه القصة ، وهى بداية الظفر ببغيتهما، ودليل على على قرب اللقاء .

والآية فيها من الإيجاز ما فيها ؛ حيث إنها لخصت تعلقهما الشديد بلقاء الخضر ، وعودتهما إلى مكان نسيان الحوت فى أوجز عبارة وأقصر لفظ .

قوله :" ذلك "مبتدأ، خبره الجملة التى بعده " ما كنا نبغ " وقد عرف المسند إليه " ذلك " بالإشارة ، وبلاغة تعريفه بها تتمثل فى الإيجاز والاختصار ؛ حيث إن اسم الإشارة يلخص الكلام السابق، ويجعل المتحدث يطوي جملا لا داعي لذكرها ، والمقام لا مجال فيه لبسط الكلام ، فهو

---

(١) بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٣٠١/١ ، المحقق :محمد على النجار ، الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث ، القاهرة ، ١٤١٦- ١٩٩٦ م .

يحارب الزمان حتى يصل لبغيته سريعا ، كما يفيد التعريف بالإشارة الدلالة على تعظيم المشار إليه ، يؤكد هذا الإشارة ب" ذلك " الموضوع للبعيد ، كما تلمح فى الإشارة معنى الفرحة واللهفة لحدوث هذا الشيء ، وأن حدوث هذا الشيء قد أنساهما المعاناة والتعب الذى أصابهما فى تلك الرحلة .

وقد جاء المسند " ما كنا نبغ " معرفا بالموصولية لفائدة ؛ وهى تقرير الحكم المسوق له الكلام،وهو حدوث علامة اللقاء ، وصيرورتها واقعا .

هذا ومن الملاحظ حذف الياء من الفعل " نبغ " وهى قراءة عاصم والتى توافق رسم المصحف العثماني ، وقد ذكر كثير من أهل العلم أن الأحسن إثبات الياء " نبغي " يقول الزمخشري :" وقرئ نَبْغِ بغير ياء في الوصل، وإثباتها أحسن "(١) ، وقال أبو البقاء العكبري : " قَوْلُهُ تَعَالَى: (نَبْغِي) : الْجَيِّدُ إِثْبَاتُ الْيَاءِ، وَقَدْ قُرِئَ بِحَذْفِهَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْفَوَاصِلِ " (٢)

وأرى أن الأولى حذف الياء . وإن خالفت بذلك الزمخشري والعكبري . وليست المخالفة ردا لما قالا ، وإنما هى استجابة لما تمليه خواطر النفس واجتهادها ، وقد تحدث عن مثل هذا النوع من الحذف . حذف جزء من الكلمة . الشيخ أبو موسى ، وقد أخذ على أهل العلم سكوتهم عن هذا الجانب الرائع من الحذف ، والذى لا يقل أهمية عن حذف الكلمة والجملة

---

(١) الكشاف ٢/ ٧٣٢

(٢) التبيان فى إعراب القرآن ٢/٨٥٥،المحقق: على محمد البجاوى ، الناشر : عيسى البابي الحلبي .

فقال : " وقد كانت على ألا أذكر هذا النوع من الحذف؛ لأنه لم يرد في كتب الأئمة كما ذكرته، ومع ثقتي بضرورة الاستجابة لهواتف النفس، وإن خالفت فإني لحذر جدا عند القول بالمخالفة، حتى عند هذه المسائل الهينة التي تشبه ما نحن فيه، والذي أغراني بمخالفة الحذر الواجب هو ثقتي بفهم القارئ، وخاصة أن مثل هذه الدراسة إنما نقدمها لقارئ له خبرة بالحقل، وله رأيه المستقل، أو هو بصدد أن يكون كذلك، فهو يقبل ما يرضاه ويرفض خلافه، وليس ثمة كلام يجب قبوله، والإذعان له إلا ما تجده بين دفتي المصحف، وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما عداهما فهو اجتهادات بشر غير معصومين، ونأخذ منه ما نأخذ، وندع ما ندع في حدود الفهم والجد، ولهذا خفت التبعة على الباحثين ؛ لأنهم يقولون ما يعالجون في نفوسهم. "(١)

أقول : إن من يتتبع السياق العام للآيات يجد الأولى ما قرأ به عاصم ووافق رسم المصحف بحذف الياء من الفعل " نبغ " ؛ حيث إن الحذف ينسجم والمعنى ، وبيان ذلك أن موسى _عليه السلام _ وفتاه قد علما بفقدهما الحوت المكان الذى يجدان فيه الخضر_عليه السلام _ ، فهى علامة تصل بهما إلى الغاية المطلوبة، وليس نسيان الحوت غاية فى ذاته، فهما وإن كان قد نسياه فقد أدركا جزءا من الغاية لا كل الغاية ، وهو ما يتفق وحذف الياء من الفعل ؛ لأن نقصان الفعل بحذف جزء منه يوحي بنقصان الغايةوعدم تمامها ، ولو كان الفعل قد قيل فى مقام حضرة

(١) خصائص التراكيب ، الطبعة السابعة ١٥٩، الناشر مكتبة وهبة .

الخضر _ عليه السلام _ لكان الأولى إثبات الياء ؛ لأن البغية قد حصلت بتمامها ، وهو ما يناسبه تمام الفعل.

أُوكّد ما ذهبت إليه من أن حذف الياء فى هذا المقام أولى ، بقوله _ تعالى _ فى سورة يوسف ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾(١) ، فبين **الآيتين تشابه؛ حيث إن كلا منها فيه غاية مطلوبة ، وغاية أخوة يوسف _هنا _ قد أخذوها كاملة ، وهي أخذهم الطعام دون أن يدفعوا مقابلا، فأخذوا حقهم وزيادة ، فناسب ذلك تمام الفعل " نبغي " يقول الرازي**:"

.....الْمَعْنَى: لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ رَدَّ إِلَيْهِمْ بِضَاعَتَهُمْ قَالُوا: مَا نَبْغِي بَعْدَ هَذَا، أَيْ أَعْطَانَا الطَّعَامَ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْنَا ثَمَنَ الطَّعَامِ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، فَأَيُّ شَيْءٍ نَبْغِي وَرَاءَ ذَلِكَ؟ وَاعْلَمْ أَنَّا إِذَا حَمَلْنَا «مَا» عَلَى الِاسْتِفْهَامِ صَارَ التَّقْدِيرُ أَيُّ شَيْءٍ نَبْغِي فَوْقَ هَذَا الْإِكْرَامِ إِنَّ الرَّجُلَ رَدَّ دَرَاهِمَنَا إِلَيْنَا فَإِذَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ نَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ بِسَبَبِ حُضُورِ أَخِينَا.(٢)

يفهم من كلام الرازي _ رحمه الله_أن حقهم أخذوه وزيادة ، وأنّ يوسف . عليه السلام . بلغ في الإكرام لهم غاية ما بعدها غاية ، وليس بعدها

---

(١) يوسف الآية ٦٥

(٢) مفاتيح الغيب ١٨ /٤٨٠

مطلب ، وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من تمام الفعل هنا ، وحذف آخره في سورة الكهف .

وفي الحذف السابق تجسيد لقوة المعنى ؛ من خلال الوقوف على الساكن ، الدال على القطع ، بخلاف ذكر الياء فيدل على التراخي ، الذي يتنافى وطبيعة الشدة المسيطرة على المشهد.

بهذه الآية نصل إلى تمام المحور الأوّل من أحداث هذه الرحلة المباركة ، ورأينا فيه بلاغة القرآن ودقته في تصوير أحداث هذا المشهد .

المحور الثاني

لقاء موسى بالخضر ـ عليهما السلام ـ وحديثهما قبل الرحلة

هذا المحور يمثله قوله _ تعالى _ :

﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ ﴾ (١)

هذه الآيات تصف مشهدا من مشاهد تلك الرحلة المباركة ؛ وهو بداية مقابلة موسى ـ عليه السلام ـ للعبد الصالح ، وكيف طلب منه موسى أن يتبعه ليتعلم منه ، فبيّن له أنه لن يصبر على ما يراه ، فردّ موسى بأنه سيصبر ، وخُتم هذا المشهد بطلب العبد الصالح من موسى أن يصبر ولا يسأل عن شيء حتى يُحدِث له منه ذكرا ، وقد حوت الآيات صورة رائعة للحوار بين طالب العلم وأستاذه فى عبارات موجزة ، وبيان ذلك فيما يأتى .

أول ما يقابلك فى هذه الآيات هو عطفها بالفاء فى قوله : " فوجدا " على ما سبقها من آيات ، وفائدة هذا العطف هو المبادرة إلى المطلوب من لقاء العبد الصالح ،فالعطف المتتابع بالفاء قد لخص القصة وحدد

(١) الكهف من الآية ٦٥إلى الآية ٧٠

معالمها وطوى الزمن وكشف اللهفة الشديدة لهذا اللقاء .

وما إن عادا إلى هذا المكان إلاّ ووجدا هذا العبد ، ومن الملاحظ أن القرآن الكريم قد قال: ﴿ ﴾ ، دون أن يذكره باسمه ؛ إذ لا يتعلق بذكره فائدة ، وفيه دلالة على أنه استحق ما وصل إليه من علم بعبوديته لله تعالى ، وفى ذلك تذكير لموسى ـ عليه السلام ـ عندما قال بأنه أعلم أهل الأرض ، فأرشده الله ـ تعالى ـ إلى رجل ليس مشهورا شهرته ، وليس نبيا من الأنبياء ومع ذلك أعطاه من علمه ما لم يعط نبيا ، كما أن فى ترك التصريح باسمه انسجاما للسياق العام للقصة من الغموض الذى سيطر على أجوائها ، حيث سنرى فى المحور الثالث من محاور هذه القصة كيف سيطر الغموض على أركانها من خرق للسفينة ، وقتل للغلام ، وإقامة للجدار ، دون أن تكون هناك أسباب ظاهرة لهذه الأفعال ، وإنما هو جوّ من الغموض يلقى بظلاله على تلك المشاهد ، فَلِمَ لا يصل أثر هذا الغموض إلى الرجل ؟.، فيخفي اسمه حتى يظل الغموض عنصرا مهما من عناصر بناء القصة ، يقول الشيخ سيد قطب : " فإلى هنا نحن أمام مفاجآت متوالية، لا نعلم لها سرًّا، وموقفنا منها كموقف بطلها موسى. بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة ولا ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا. وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الكونية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة. فعدم ذكر اسمه يتفق مع هذه الشخصية المعنوية التي يمثلها. وإن القوى المجهولة لتتحكم في القصة منذ نشأتها؛ فها هو ذا موسى يريد أن يلقى

هذا الرجل الموعود، فيمضي في طريقه ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة، وكأنما نسيه ليعودا، فيجد هذا الرجل هناك؛ وكان لقاؤه يفوتهما لو سارا في وجهتها، ولو لم تردهما الأقدار إلى الصخرة كرة أخرى.. كل الجو غامض مجهول، وكذلك اسم الرجل الغامض مجهول.ثم يأخذ السر في التجلي، فيعلمه النظارة حين يعلمه موسى:{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ....."(١)، وفي تقييد " عبدا " بالصفة في قوله :﴿ ﴾وبالصفة الثانية :﴿ ﴾ والثالثة :﴿ ﴾ تأكيد لمنزلة هذا الرجل ، ودفع لكل شبهة تعارضه فيما يصدر منه من عجائب ، ويعجز العقل عن إدراك سرّها.

ولا يخفى سر تنكير المفعول " عبدا " حيث أفاد التنكير التعظيم ، يقول الشيخ بن عاشور:"وَعَدَلَ عَنِ الْإِضَافَةِ إِلَى التَّنْكِيرِ وَالصِّفَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ مَا يَقْتَضِي تَعْرِيفَهُ، وَلِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هَذَا الْحَالَ الْغَرِيبَ الْعَظِيمَ الَّذِي ذُكِرَ مِنْ قِصَّتِهِ مَا هُوَ إِلَّا مِنْ أَحْوَالِ عِبَاد كَثِيرِينَ لِلَّهِ تَعَالَى. وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ."(٢)

هذا والآية الكريمة اشتملت على عدّة أمور منها : مجيء جملة ﴿ ﴾ قبل جملة ﴿ ﴾ على الرغم من أن المخزى من القصة هو مقابلة موسى . عليه السلام . للعبد الصالح والتعلم منه ، فَلِمَ

(١) التصوير الفني فى القرآن ١٨٤/١٨٥

(٢) التحرير والتنوير ٣٦٩/١٥

قدّم عطاء الرحمة على عطاء العلم ؟ ، ومنها التغاير بين "من عندنا " وقوله : " من لدنا " ومعناهما يكاد يكون واحدا ، كذلك الفصل بين مفعولى "علَّمناه" بالجار والمجرور " من لدنا ".

أقول :إن تقديم الجملة المشتملة علي الرحمة على الثانية المشتملة على العلم لنكتتين ؛ واحدة لفظية ، والأخرى معنوية ، أمّا الأولى ـ اللفظية. فتتمثل فى المحافظة على الفاصلة ،وأما الثانية ـ المعنوية ـ فتتمثل فى بيان أهمية الرحمة ، فهى أهم مقوم من مقومات العلم ، وبدونها لا يكون للعلم قيمة ، وفيها إيماء إلى موسى بأن العالم يحتاج إلى التواضع ـ وهو صورة من صور الرحمة ـ قبل حاجته إلي العلم ، وفي تقديمها رفع للتهمة عن الخضر قبل وقوع ما يدعو إليها ؛ حيث صدر منه بعد ذلك خرق للسفينة وقتل للغلام بلا سبب ظاهر ، فكيف بمن أعطاه الله رحمة يفعل ذلك ؟ إنّ تقديم الرحمة في هذا المقام فيه دليل على أن الخرق والقتل قد خرجا من معين الرحمة ؛ وإلاّ كيف يخرق سفينة حُمِلَ فيها بغير مقابل ؟ ، وكيف يقتل صغيرا بلا ذنب ؟ ، ويكلّف نفسه تبعة هذين الفعلين ،ولم تكن له مصلحة خاصة من أن يبلغ الغلام أشده ويرهق والديه طغيانا وكفرا، أو أن يسطو الملك على السفينة ويأخذها غصبا ، إن الذي يفعل ذلك دون أن يكون له مأرب خاص لهو رجل يحب للناس الخير ، ويكره لهم الضر ، وذلك لا يكون إلّا من أهل الرحمة .

أمّا عن سر التغاير بين " من عندنا " وقوله : " من لدنا "، فظاهر هاتين الكلمتين الترادف ؛حيث إن الرحمة والعلم من عنده ـ تعالى ـ ولكنّ النظم الكريم قد غاير بين اللفظين ؛ مما يفيد أن بينهما اختلافا ، وهذا هو الحق ، فما من كلمتين فى القرآن ظاهرهما الترادف إلاّ وبينهما فرق دقيق،

وإن خفى علينا الفرق فلا ينفي وجوده ، وإنما يحتاج الأمر لطول نظر وإمعان فكر حتى يتجلّى لنا شيء من أسرار كتاب الله ـ تعالى ـ ، وقد قرأت الكثير مما قاله أهل العلم فى هذه الآية فلم أجد أحدا قال شيئا يشفي الصدر إلاّ الإمام البقاعي ـ رحمه الله ـ حيث يقول : " {من عندنا} أي مما لم يجر على قوانين العادات غير أنه ليس بمستغرب عند أهل الاصطفاء {وعلمناه من لدنا} أي من الأمور المستبطنة المستغربة التي عندنا مما لم يحدث عن الأسباب المعتادات، فهو مستغرب عند أهل الاصطفاء {علماً} قذفناه في قلبه بغير واسطة؛ وقال الأستاذ أبو الحسن الحرالي: «عند» في لسان العرب لما ظهر، و «لدن» لما بطن، فيكون المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته، وبالعلم الباطن الخفي المعلوم قطعاً أنه خاص بحضرته سبحانه."(١) ، مفاد كلام البقاعي أن " عندنا " تستخدم فى الأمور الظاهرة ، وهى المناسبة لكلمة " رحمة " حيث إن المقصود بها ـ هنا ـ هى الكرامات الظاهرة التى يجريها الله ـ تعالى ـ على يد الصالحين ، أمّا "لدنا " فتأتي فى الأمور الخفية ، وهى مناسبة لكلمة"علما " حيث إن المراد بها علم خفي من لدن رب العالمين ، لايصل إليه عبد بتعلم أوغيره مما نكتسب به العلم ، وإنّما هى أمور خفيّة يقذفها الله فى صدر من شاء ، وتلك لفتة رائعة من الإمام البقاعي ، وكثيرا ما يقع الرجل على مثل هذا ، أمّا الشيخ ابن عاشور فقد نظر للأمر من ناحية أخرى فقال :" وَالْمُخَالَفَةُ بَيْنَ مِنْ

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ١٢ / ١٠٦،الناشر : دار الكتاب الإسلامي القاهرة .

عِنْدِنا وَبَيْنَ مِنْ لَدُنَّا لِلتَّفَنُّنِ تَفَادِيًا مِنْ إِعَادَةِ الْكَلِمَةِ. (١) ، فالمخالفة عند الرجل من باب التفنن تفاديا من إعادة الكلمة وتكرارها ، فالغرض هو البعد عن التكرار ، وهذا الكلام وإن كان ذا أهمية إلاّ أنه لايكفي إذا كان الكلام متعلقا بالذكر الحكيم ، فلابد من أسرار ونكات وراء الألفاظ المترادفة، وهو ما أشار إليه جار الله الزمخشري ، حيث يقول :" تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك"(٢) .

قوله : ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس ﴾ هو بداية الحوار بين موسى ـ عليه السلام ـ والعبد الصالح ، وقد بدأ موسى بالكلام ؛ حيث إنه أشوق الرجلين إلى اللقاء ، ولِمَ لا يبدأ ؟ ألم نذكر فى المحور الأَوّل من محاور هذه القصة ما يفيد لهفة موسى وشوقه إلى هذا اللقاء .ومن الملاحظ أن اللبنة الأولى فى بنا ء هذا المحور قائمة على الإيجاز ؛ حيث بدأت الآية بالحوار مباشرة دون تمهيد له ، فلم يرد فيها أنه سلّم على الخضر ، أو أنّ شيئا ما قد دار بينهما ، وقد ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما طوته الآية ، فقد روى البخاري فى صحيحه فى باب ـ ما يستحب للعالم إذا سُئِل : أي الناس أعلم ؟ فيكل العلم إلى الله ـ "..........فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا

---

(١) التحرير والتنوير ١٥ / ٣٦٩.

(٢) الكشاف ٣ /٤٤٥/٤٤٦.

رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْب ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْم مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْم عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُه "(١) ، فقد ذكر الحديث الشريف أن حورا دار بين موسى والخضر قبل أن يطلب موسى اتّباعَه ، وبلاغة طيّ هذا الحوار يرجع إلى ما فيه من الإيجاز ، والسرعة فى سرد أحداث القصة ، وهذا يتناسب مع الخفة والسرعة التى كان عليها موسى قبل لقاء الخضر ، فالمخاطب الآن على شاكلة موسى من اللهفة إلى معرفة مادار بين الرجلين ،كما أن طيّ هذا الجزء من الحوار لا يؤثر على مضمون القصة ، وحذف ما هو معلوم أولى كما يقال.

ومن الملاحظ أن فتى موسى ـ عليه السلام ـ قد أخفته الآية الكريمة ، فرحل الرجل فى هدوء تام دون أن تشعر به ؛ إذ لا دور له الآن ، فمهمته قد انتهت إلى هنا ، فلا يشغل المخاطبَ كيف رحل الفتى ، وإنّما يشغله ما يشغل موسى من مقابلة العبد ، فكما طوت الآية جزءا من الحوار ، وفآجاتك بطلب موسى اتباع الخضر ، أخفت كذلك حديث الفتى .

وقد بدأ الحوار بتقديم المتعلق "له" على المسند إليه " موسى " ، والأصل قال موسى له؛ لأن هذا يتفق وحسن الطلب ، من تقديم ما يتعلق بالعالم على ما يتعلق بالمتعلم ، حيث سلك موسى أفضل طريق للطلب،

---

(١) صحيح البخاري ٣٥/١

وفي تقديم المتعلق تأكيد على حضور الخضر بذاته ، وأن الحوار بينهما كان مواجهة ، حتى لا يتخيل أحد أن الخضر شخصية وهمية لا وجود لها، ففي تقديم المتعلق إثبات لحضور الخضر.

وطلب موسى ـ عليه السلام ـ صحبة الخضر عن طريق الاستفهام ﴿ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس ﴾ أبلغ في إثبات الأدب ، ومراعاة حسن الطلب من التصريح المباشر.

والجملة السابقة ﴿ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس ﴾ قد حوت العديد من وجوه مراعاة حسن الأدب من المتعلم تجاه معلمه في أوجز عبارة ، وقد أشار العلّامة الرازى ـ رحمه الله ـ إلى بعض منها فقال : " فَأَحَدُهَا: أَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ تَبَعًا لَهُ لِأَنَّهُ قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ. وثانيها: أن استأذن في إثبات هذا التَّبَعِيَّةِ فَإِنَّهُ قَالَ هَلْ تَأْذَنُ لِي أَنْ أجعل نفسي تبعا لك وهذا مُبَالَغَةٌ عَظِيمَةٌ فِي التَّوَاضُعِ.وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ قَالَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ وَهَذَا إِقْرَارٌ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْجَهْلِ وَعَلَى أستاذه بالعلم. ورابعها: أنه قال: مِمَّا عُلِّمْتَ وَصِيغَةُ مِنْ لِلتَّبْعِيضِ فَطَلَبَ مِنْهُ تَعْلِيمَ بَعْضِ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَهَذَا أَيْضًا مُشْعِرٌ بِالتَّوَاضُعِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ لَا أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مُسَاوِيًا فِي الْعِلْمِ لَكَ، بَلْ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُعْطِيَنِي جُزْأً مِنْ أَجْزَاءِ عِلْمِكَ، كَمَا يَطْلُبُ الْفَقِيرُ مِنَ الْغَنِيِّ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ جُزْأً مِنْ أَجْزَاءِ مَالِهِ. وَخَامِسُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: مِمَّا عُلِّمْتَ اعْتِرَافٌ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ ذَلِكَ الْعِلْمَ. وَسَادِسُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: رُشْداً طَلَبٌ مِنْهُ لِلْإِرْشَادِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادُ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَوْ لَمْ يَحْصُلْ لَحَصَلَتِ الْغَوَايَةُ والضلال. وسابعها: أن قوله: تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعَامِلَهُ بِمِثْلِ مَا عَامَلَهُ اللَّهُ بِهِ وَفِيهِ

إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ يَكُونُ إِنْعَامُكَ عَلَيَّ عِنْدَ هَذَا التَّعْلِيمِ شَبِيهًا بِإِنْعَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ فِي هذا التعليم وَلِهَذَا الْمَعْنَى قِيلَ أَنَا عَبْدُ مَنْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ حَرْفًا."(١)

فقد ذكر الرازي أكثر من سبعة أوجه في تلك العبارة الموجزة ، ولو تأملها غيره لفتح الله له أوجها أخرى ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

هذا ومن الملاحظ أن قول موسى ـ عليه السلام " قال له موسي " قد جاء بغير عاطف ؛ حيث إنه اسئناف وابتداء محاورة ، فلا داعي لذكر العاطف.

ثم جاء رد الخضر عليه السلام ﴿ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ مَرْيَمَ طَهَ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ ﴾ مؤكدا أنه لن يستطيع الصبر على ما يشاهده من عجائب ؛ لأن الصالحين لا يصبرون على رؤية شيء ظاهره شر ، فكيف إذا كان نبيا ؟ إن مجيء الكلام مشتملا على التأكيد يكشف ما سيعلمه الخضر من موسى ـ عليه السلام ـ عند وقوع تلك الأفعال العجيبة ، فكان التأكيد بمثابة أخذ الحجة على موسى إذا لم يصبر وأنكر ما يقع ، يقول الزمخشري: "نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد، كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير. والرجل الصالح- فكيف إذا كان نبيا- لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا

(١) مفاتيح الغيب ٢١/٤٨٣

رأى ذلك ويأخذ في الإنكار."(١)

وفي تقديم " معي " على " صبرا " أسلوب قصر ؛ حيث نفى استطاعة الصبر على معيّته للعبد الصالح ، وإثباتها لمعيّة غيره ، قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا ، وبلاغة القصر تتمثل فى تأكيد مضمون الكلام السابق ؛ وهو أنه لن يطيق صبرا على فراقه ، ثم ارتقى الخضر درجة أخرى في نفي الصبر فقال :﴿ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ ﴾ الاستفهام السابق يفيد معني الإنكار ؛ فالرجل ينكر على موسى ـ عليه السلام ـ أن يكون منه صبر ، وعلل هذا بأنه سيرى ما لم يحط به خبرا ، فإن قلت لِمَ أكّد نفي الصبر عن طريق الاستفهام ؟ ولم يأت بالنفي الصريح فيقول : " لن تصبر على ما لم تحط به خبرا " .

قلت إنّ تأكيد نفي الصبر عن طريق الاستفهام أبلغ من تأكيده عن طريق النفي الصريح من جهتين ؛ فالتأكيد بالاستفهام فيه بعد عن تكرار أسلوب النفي مرة أخري ، حيث سبق ذكره في قوله :﴿ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ ﴾ ، وتكرار الأسلوب جدير تركه في البلاغة إلاّ إذا كان لعلة، أيضا تأكيد نفي الصبر عن طريق الاستفهام فيه لفت للمخاطب وتنبيه وإثارة ؛ حتي يحرك الكلام في ذهنه ويعلم أن صحبة الخضر ليس بالأمر الهين ، فيكون هذا بمثابة الحجة عليه إذا تعجّل وذهب صبره

---

(١) الكشاف ٢/٧٣٤

عندما يري منه ما يري .

والذكر الحكيم دقيق في انتقاء اللفظة ؛ تأمل كلمة ﴿ الشُّعَرَاءُ ﴾وما تحمله من نكتة لا يقوم بها غيرها نحو :"وكيف تصبر علي ما لم تحط به علما " ، إنّ كلمة " خبرا " أدق في آداء المعنى المراد ؛ حيث إنّ " خبرا " فيه دلالة علي علم ما خفي ، أمّا "علما " فهو علم ما ظهر ، فالأولى فيه معنى العلم وزيادة ، يقول أبو هلال العسكري : " الفرق بين الخبر والعلم : أن الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقائقها ففيه معنى زائد على العلم " (١)

وقد ذكر أهل العلم ما يفيد دلالة الخبير علي معني العليم وزيادة في تفسيرهم قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ ﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَة ﴾ (٢) ، قال الرازي " قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ وصفه بكونه خبيرا بعد ما وَصَفَهُ بِكَوْنِهِ عَلِيمًا لِمَا أَنَّ فِي الْخَبِيرِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ مَا لَيْسَ فِي الْعَلِيمِ"(٣) ، وقال ابن عاشور "والْعَلِيمُ: الْقَوِيُّ الْعِلْمِ وَهُوَ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى دَالٌّ عَلَى أَكْمَلِ الْعِلْمِ، أَيِ الْعِلْمِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ مَعْلُوم .والْخَبِيرُ: أَخَصُّ مِنَ الْعَلِيمِ لِأَنَّهُ مُشْتَقّ من خبر الشَّيْءِ

---

(١) معجم الفروق اللغوية ٢١١ ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي

الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»

الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

(٢) التحريم من الآية ٣

(٣) مفاتيح الغيب ٥٧٠/٣٠

إِذَا أَحَاطَ بِمَعَانِيهِ وَدَخَائِلِهِ وَلِذَلِكَ يُقَالُ خَبَرْتُهُ، أَيْ بَلَوْتُهُ وَتَطَلَّعْتُ بَوَاطِنَ أَمْرِهِ..... وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى» : «الْعِلْمُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى الْخَفَايَا الْبَاطِنَةِ سُمِّيَ خِبْرَةً وَسُمِّيَ صَاحِبُهَا خَبِيرًا اه». " (١) ، من خلال ما سبق من أقوال أهل العلم في حديثهم عن الفرق بين الخبير والعليم يتبين روعة القرآن ودقته في اصطفاء المفردة ، وهو باب رائع من أبواب العلم ، يكشف جانبا من جوانب الإعجاز ، وقصة موسى والخضر . عليهما السلام . حافلة بهذا النوع ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ثم جاء ردُّ موسى . عليه السلام . ﴿ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ ﴾ ".

وقد علّق موسى . عليه السلام . صبره بالمشيئة ؛ لما يعلمه من نفسه من حميّة تأخذه عند رؤية ما ظاهره شر ، يقول الزمخشري : " فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله، علما منه بشدّة الأمروصعوبته، وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق، هذا مع علمه أن

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨/٣٥٤ ، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ١٠٣، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر: الجفان والجابي – قبرص ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه، بريّ من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين،

وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل، فكيف إذا لم يعلم."

وستظهر الآيات القادمة ماذا وقع من الخضر من عجائب ، ورد موسى . عليه السلام . على ذلك .

المحور الثالث
محاورتهما في الرحلة

هذا المحور يمثله قوله ـ تعالى ـ ﴿ الطور النجم القمر الرحمن
الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون
التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن
المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير
الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر
البلد الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة الزلزلة
العاديات القارعة التكاثر العصر الهمزة الفيل بسم
الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى : ﴿ ﴾
بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم بسم الله الرحمن
الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم
صدق الله العظيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ﴿ ﴾
﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء
المائدة الأنعام ﴾(١)

هذا المحور من أهم محاور هذه القصة المباركة ؛ حيث انطلق موسى ـ عليه السلام ـ مع الخضر ليتعلم منه ما علمه ربُّه، ورأى منه ما

---

(١) الكهف من الآية ٧١ إلي الآية٧٨.

يدعو للعجب ، ويعجز العقل عن إدراك الحكمة منه ؛ من خرق لسفينة حُمِلا فيها بغير أجر ، وقتل لغلام بغير ذنب ، وإقامة لجدار في قرية بخل أهلها عليهما بالطعام ، وقد جاءت المحاورة بينهما بطريقة بديعة تشهد بإعجاز هذا الكتاب .

وقد بدأ هذا المحور بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ الطُّورِ الْبَحْرِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ ﴾، وهو أوّل مشاهد هذا المحور ؛ حيث انطلقا الرجلان فركبا في سفينة حُمِلا فيها بغير أجر ، وما كان من الخضر إلاّ أن قابل هذا المعروف بأن خرق السفينة ، فلم يصبر موسى ـ عليه السلام ـ علي ما ظاهره شر فقال :﴿ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ ﴾.

وهذا المشهد قائم على الإيجاز ؛حيث طوت الآيات أحداثا ورد ذكرها في الحديث الشريف ، فلم يرد في الآية أنهما مشيا على ساحل البحر ، وليس لهما سفينة ، فمرت بهما سفينة ، فكلّما أصحابها ، فعرفوا الخضر ، فحملوهما بغير نول ، وحال العصفور الذي نقر في البحرنقرتين ، وما تبع ذلك من حوار ، ثم عمد الخضر إلي لوح من ألواح السفينة فنزعه ، فتعجّب موسى فقال : قوم حملونا بغير نول فتخرق سفينتهم لتغرقهم .....،كل هذا تُرِكَ ذكره في هذا المشهد ، وبيّنه الحديث الشريف ، جاء في "صحيح البخاري " ، "فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً

أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ، فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا – فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ....."(١)

وإنما تُرِكَ ذكر هذا لأنّ السامع مشغول بما هو أهم وأولى ؛ ماذا وقع من الخضر من عجائب قد مهّد لها قوله . تعالى . في المحور السابق: ﴿ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يٰسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ ﴾ (٢)، فالذي يشغل السامعَ ويشغلنا معه أيّ عجيبة فعلها الخضر وبدأ بها ؟ تجعل موسى . عليه السلام . لا يطيق صبرا عليها ، إنّ الآية الأولي من هذا المحور قد فاجأتك بما وقع ؛ حتى يندهش السامع ويعجب كما عجب موسى واندهش ، ولذا عُطِف هذا المحور على سابقه بالفاء ﴿ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ

---

(١)صحيح البخاري ١/٣٥

(٢) الكهف من الآية ٦٧إلى الآية ٧٠

الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ ﴾،حتّى يعيش السامع في أجواء تلك الرحلة كما عاشها صاحبها ، كما أنّ ترك ما سبق ذكره لا يؤثر علي أحداث القصة.

هذا وقد جاء بالمجرور معرفة فقال :"السفينة" ولم يأت به نكرة " سفينة " ؛ لأن السفينة بالنسبة للخضر كانت معلومة ، يعرفها ويعرف أصحابها ، فليست مجهولة بالنسبة له ، فناسب ذلك تعريفها ، يؤكد هذا ما سبق ذكره في الحديث الشريف " فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ " وهذا أدعى لتأكيد إنكار موسي صنع الخضر ، فأصحاب السفينة معروفون للخضر ، وحملوهما بغير نول ، ويفعل ما فعل ، إنّ حملهما بغير نول . ولو كان من أجنبي . يكفي لرده معروفا ،لا خرقا وإفسادا ، فما بالنا إذا صدر المعروف ممن بينك وبينه معرفة ؟

والاستفهام في قوله : " أَخَرَقْتَهَا" يفيد الإنكار ؛ حيث إنّ ما وقع من الخضر يدعو للإنكار والعجب ، وقد أكّد هذا بقوله: ﴿ الْحَشْرِ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ ﴾.

ثم تأمل كلمة " خرقها " وما تفيده من شدة وقسوة في وقوع الفعل ؛ للدلالة على أن الخضر كان حريصا علي إفسادها ، وجعل هذا الفساد بيّنا لمن رأي السفينة ، وكأنّ الخضر ركبها ليخرقها لا ليسافر فيها، وهذا ينسجم مع المعاني السابقة التي أخذناها من تعريف "السفينة " حتي تثير موسى . عليه السلام . وتخرجه عن صبره فيقول : : ﴿ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ

الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك ﴾.

والذكر الحكيم رائع في اختيار المفردة التي يعبر بها ؛ تأمل قوله ـ تعالى ـ :﴿ الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون ﴾.واختيار كلمة ﴿ المنافقون ﴾. دون غيرها نحو " أصحابها " مما قد يؤدي المعني، وقد ورد في سورة العنكبوت قوله ـ تعالى ـ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴾[1]؛ فَلِمَ قال في قصة نوح ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، فذكر "أصحاب" دون "أهل "، وفي قصة موسى قال : " أهلها " دون " أصحابها" ؟.

إنّ كلمة " أهلها " ـ حتما ـ هي الأليق بهذا الموضع ؛ يقول أبو هلال العسكري :" الْأَهْل يكون من جِهَة النّسَب والاختصاص فَمن جِهَة النّسَب قَوْلك أهل الرجل لِقَرَابَتِهِ الأدنين وَمن جِهَة الِاخْتِصَاص قَوْلك أهل الْبَصْرَة وَأهل الْعلم "(٢) ،وعلى هذا يكون رجال سفينة الكهف أهلا ، إمّا من جهة النسب، أو الاختصاص ؛ وهوعملهم المشترك على ظهر السفينة ، فناسب ذلك كلمة "أهلها " كما قال العسكري ، أمّا أصحاب سفينة نوح ـ عليه السلام ـ فهم من آمن به من أولاده وأتباعه ، فلم يجمعهم كلهم نسب ، أو حرفة مشتركة كما في سفينة موسى والخضر عليهما السلام ، فيطلق

---

(١) العنكبوت الآية ١٥

(٢)الفروق اللغوية ٢٨٢، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ،الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

عليهم "أهل " كما جاء في سورة الكهف .

أيضا اختيار كلمة ﴿ الْمَلِكِ ﴾.في خرق السفينة ، ثم مجيء كلمة﴿ الْهُمَزَةِ ﴾ في فتل الغلام ، والفعلان من الخضر كلاهما ظاهره شرٌ؛ فَلِمَ غاير بين اللفظين؟ وهل يصح بلاغة أن يتبادل الفعلان في الموضع فنأتي ب ﴿ الْهُمَزَةِ ﴾في موضع خرق السفينة ، وب﴿ الْمَلِكِ ﴾في موضع قتل الغلام ؟

أقول إنّ البلاغة ـ حتما ـ فيما جاء به الذكر الحكيم ، وبيان ذلك فيما يأتي :

إنَ المتأمل في سياق الآيات يحكم على اللفظ الثاني﴿ الْهُمَزَةِ ﴾ بأن الجرم فيه يكون أشنع وأشد ؛ فهو أعلي درجة من الأوّل ﴿ الْمَلِكِ ﴾ ؛ حيث إنّ قتل الغلام أبشع من خرق السفينة ، ففيه قتل متحقق ، أمّا خرق السفينة فالهلاك فيه ليس متحققا ، فقد تخُرق ولا يغرق أهلها ، فالهلاك فيه مشكوك، ليس واقعا كما في الثاني ، لذا جاء معه ب ﴿ الْمَلِكِ ﴾ ، يقول الخطيب الإسكافي : " للسائل أن يسأل عن "الإمر" و "النُّكر" وهل كان أحدهما يصلح في موضع الآخر، أم لكل واحد معنى يخصصه بمكانه؟.

والجواب أن يقال: قيل: الإمر: إنه الداهية، وقيل: إنه العجب. والنُّكر: ما تنكره العقول ولا تعرفه ولا تجوّزه. ويروى عن قتادة أنه قال: النّكر أعظم من الإمر، لأن الإمر إن حُمل على الداهية فهي التي تدْهى الإنسان ممّا

لم يخشه فيحترز من وقوعه. والعجب قد يكون غير منكر، والنّكر لا يستعمل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل أو الدين، فاختص الأول بالإمر، لأن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي قد هلك."(١) ،فالنكر عنده أشد من الإمر ، فناسب الإمر مع الخرق ، والنكر مع القتل .

أمّا الشيخ ابن عطية فيري غير ذلك ؛ حيث يقول : " واختلف الناس أيهما أبلغ قوله "إِمْراً " أو قوله " نُكْراً " فقالت فرقة هذا قتل بيّن، وهناك مترقب ف " نُكْراً " أبلغ وقالت فرقة هذا قتل واحد، وذلك قتل جماعة ف "إِمْراً " أبلغ ، وعندي أنهما المعنيين، قوله : " إِمْراً " أفظع وأهول من حيث هو متوقع عظيم، و " نُكْراً " أبين في الفساد لأن مكروهه قد وقع ." (٢) ، فالرجل ذكر اختلاف السابقين في أيهما أبلغ في الجرم ؛ فقالت طائفة الإمر أبلغ ، وقالت أخري بل النكر، أمّا هو فقد ذهب مذهبا آخر لا تفضيل فيه للفظ في شدة الجرم علي آخر ، بل اللفظ مستعمل في موضعه

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل،١/٨٧٩،٨٧٨ ،لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ) ،دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ،الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(٢)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣ /٥٣٢ ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

؛ حيث إنّ الإمر يكون في أمر هائل عظيم متوقع حدوثه ، فالهلاك فيه لم يقع بعد ، أمّا النكر يكون في أمر مكروه بشع بيّن ، والهلاك فيه قد وقع ، فالفرق بينهما في وقوع الهلاك وعدم وقوعه ،فالإمر فيما لم يقع بعد ، والنكر فيما وقع .

والوجه عندي ما ذهب إليه الإسكافي ؛ في أنّ "النكر" أشد من "الإمر" ،وقد ذهب إلي هذا الوجه الرازي ـ رحمه الله ـ ؛ يقول : " النُّكْرُ أَعْظَمُ مِنَ الْإِمْرِ فِي الْقُبْحِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ قَتْلَ الْغُلَامِ أَقْبَحُ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ مَا كَانَ إِتْلَافًا لِلنَّفْسِ لِأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ لا يحصل الغرق، أما هاهنا حَصَلَ الْإِتْلَافُ قَطْعًا فَكَانَ أَنْكَرَ " (١)

وإلي هذا ذهب الفيروزآبادى ؛ حيث يقول : "قوله: {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً} وبعده {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا} لأَنَّ الإِمْر: العَجَب، والعجب يستعمل فى الخير والشرِّ، بخلافِ النُّكر؛ لأَنَّ النُّكْر ما ينكِره العقلُ، فهو شرّ، وخَرْق السفينة لم يكن معه غَرق، فكان أَسهل من قتل الغلام وإهلاكِه، فصار لكلٍّ واحد معنى يخصّه."(٢) ، فعندهما خرق السفينة أهون من قتل الغلام،وعليه يكون " النُّكر" أشد من "الإمر".، وقد بحثت ـ كثيرا ـ في كتب اللغة فلم أجد أحدا من أهل العلم قال في " الإمر " و "النكر " ما قاله ابن

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٨٧/٢١

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣٠١/١، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ،المحقق: محمد علي النجار،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، عام النشر: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

عطية؛ من اختصاص " الإمر" في الهلاك الذي لم يقع بعد ، و " النكر " فيما وقع ، ولكل وجهة كما يقال .

أيضا هناك مغايرة ظاهرة في بناء هذه الآية وآية قتل الغلام تؤكد ما سبق ، وهو أن " النكر " أشد ذنبا وأقبح فعلا من " الإمر"؛ حيث إن جملة ﴿ المجادلة الحشر ﴾ هي جملة جواب الشرط ، وقول موسى . عليه السلام . ﴿الحشر التغابن الطلاق التحريم الملك ﴾ استئناف يفيد الإنكار ، كما سبق بيانه ، أمّا الآية الثانية فقد جاء قول موسى . عليه السلام .﴿ التين العلق القدر البينة الزلزلة العاديات القارعة التكاثر العصر الهمزة ﴾جوابا للشرط ، فَلِمَ جعل اعتراض موسى في الثانية جزءا من جملة الشرط دون الأولي؟

إنّ هذه المغايرة لنكتة رائعة ، تنسجم والمقام ؛ حيث إنّ قتل الغلام أشد ذنبا وأقبح فعلا من خرق السفينة . كما سبق بيانه . ، فناسب ذلك أن يكون اعتراض موسى علي القتل أشد من اعتراضه علي الخرق ، و ذلك بأن يجعل اعتراضه أصلا في بنا الجملة ، فجاء به جوابا للشرط ،أمّا في الجملة الأولي كان الخرق أقل منزلة من القتل ؛ فناسب ذلك أن يسجل موسى اعتراضه في جملة مستأنفة ، دون أن تكون جوابا للشرط ، وهو السبب في المغايرة بين "الإمر والنكر" . كما سبق . يقول البيضاوي : " ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء، واعتراض موسى عليه الصلاة والسلام مستأنفاً في الأولى وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه

جزاء، لأن القتل أقبح والاعتراض عليه أدخل فكان جديراً بأن يجعل عمدة الكلام، ولذلك فصله بقوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً "(١)

وجملة ﴿ الحشر التغابن الطلاق التحريم الملك ﴾.خبرية ، والغرض من الخبرتأكيد جملة الاستفهام السابقة التي تفيد الاعتراض والإنكار على ما وقع من الخَضِر ، وقد جاء الخبر مؤكدا ب"لقد " على ما يقتضيه الظاهر ؛ لشعور موسى . عليه السلام . بفظاعة الجرم الذي ارتكبه الخضر في حق أهل السفينة .

ولمّا لم يصبر موسى . عليه السلام . علي أوّل حدث وقع من الخضر ، وتعجّل وسأل إذا بالخضر يذكره بقوله :﴿ الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان ﴾

ولمّا تعجّل موسى . عليه السلام . ووقع فيما نهى عنه الخضر ، إذا به يقدِّم اعتذارا على ما وقع ، فبيَّن أنّ ما وقع منه من قبيل النسيان ، فلا يؤاخذه به ، فقال . عليه السلام . :﴿ النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى ﴾، وقد أخرج عذره في صورة النهي ، وكان يكفيه أن يقول : "لقد نسيت "بطريق الخبر المؤكد ، وإنّما عَدَلَ عن الخبر إلي الإنشاء " النهي " ؛لأنه أدعى وألطف في قبول العذر من الخبر، ولك أن تقارن بين الخبر فتقول : " لقد نسيت " وبين ما

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،٢٢٩/٣،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

جاء به الذكر الحكيم ، ستجد الأوّل فيه بيان للعذر غير أنك تشعر فيه بأن المتكلم ـ موسى ـ غير آسف على ما كان منه ، ولا يعنيه أن يقبل الخضر عذره أم لا ، أمّا صورة الإنشاء ﴿ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الِانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى ﴾، فتجد فيها حرصا من موسى ـ عليه السلام ـ حتى يقبل الخضر عذره، وهذا دليل على شدة حرصه على ملازمة الخضر ،كما أن النهي أدخل في بسط العذر ؛ لتأكيد إنكار الخرق ، يقول الزمخشري : "أخرج الكلام في معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان، يوهمه أنه قد نسى ليبسط عذره في الإنكار، وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب، مع التوصل إلى الغرض"(١)

وبعد أن قدّم موسى ـ عليه السلام ـ اعتذارا على ما وقع منه ، وطُوِي هذا المشهد دون أن يعرف موسى ـ عليه السلام ـ السرَّ الخفيَّ لخرق السفينة ، ويظل السامع متحيرا حيرة موسى لمعرفة ما يسرّه الخضر؛ إذا بنا أمام مشهد جديد أشد عجبا من سابقه ؛ حيث قتل الخضر غلاما بغير ذنب ، إنه أمر عجيب حقا ، يثير الدهشة .

يحكي القرآن الكريم هذا المشهد في قوله ـ تعالى ـ :﴿ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ الْفِيلِ بِسْمِ

---

(١) الكشاف ٢/٧٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴾

هذه الآيات تنقلنا من مفاجأة إلي أخري ، ومن عجيبة إلي أشد منها عجبا ، ومن أمر يثير دهشة الإنسان إلي آخر يعجز العقل . تماما . عن إدراك سره ، ومن هلاك مشكوك في وقوعه إلي قتل حقيقي ؛ حيث انطلق الرجلان فلقيا غلاما صغيرا ، فقتله الخضر دون جرم جناه ، ويظل موسى . عليه السلام . ويظل السامع في حيرة ودهشة ، لا يستطع معها موسى . عليه السلام . أن يصبر علي رؤية هذه الشر المحض ، فيقول : ﴿ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزِّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ ﴾.

وهذا المشهد عُطِفَ علي سابقه بالفاء ؛ حتى يظل عنصر المفاجأة قائما في القصة ؛ فموسى . عليه السلام . لم يكن قد استوعب بعد مسألة خرق السفينة ، ولم يعلم لذلك سرا يدعو لخرقها ، وكان يفكر في شأن أصحاب السفينة ، وما يؤول إليه أمرهم ، أتغرق بهم السفينة أم لا ؟ وإذا به أمام مفاجأة أعظم ، فالعطف بالفاء لا يدع فرصة لموسى . عليه السلام . ولا للسامع أن يفكر فيما كان ، فهو من باب الترقِّي في الفعل .

والآية السابقة يغلب عليها الإيجاز كما يغلب علي معظم القصة ؛ حيث إنه لا مجال هناك لبسط القول، فليس هناك وقت حتي يفكر المستمع ويدرك . إن استطاع . سرَّ ما وقع من قبل ، فالآية حوت عدة مشاهد في

أوجز عبارة وأقل كلمات ، فبيّنت أنّهما انطلقا فلقيا غلاما صغيرا ، وإذا بالخضر يقتله ، ولم تذكر الآية هل دار بين الخضر والغلام حوار ، أوظهر عليه شيء من شرّ عرفه الخضر به ، فحكم عليه بالقتل ، لم تذكر الآية لنا إلاّ أنه قتله ، وما قيمة ذكر الأشياء التي طويت عنّا في هذة اللقطة أمام قتل الغلام ، إن ترك مثل هذه الأمور أدخل في إدخال الغموض علي موسى والسامع ، حتي تستنطقه بقوله: : ﴿ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ ﴾

ومن الملاحظ أنّ هناك اختلافا في نظم هذا المشهد عن سابقه ؛ ففي المشهد الأوّل ذكر خرق السفينة دون أن يعطفه بالفاء فقال:﴿ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ ﴾ ، وفي مشهد قتل الغلام جاء بها ﴿ الشَّرْحِ ﴾ ؛ وتلك المغايرة لنكتة رائعة ، فترك الفاء في خرقها يفيد أن الخرق لم يتبع الركوب مباشرة ، والدليل علي ذلك ماجاء به الحديث الشريف ؛ أن حوارا طويلا دار بين الرجلين ، ومنه" .....فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ، فَنَزَعَهُ....."(١) أفادالحديث أنّ ثمّة حوار دار بين الرجلين قبل أن يخرق الخضر السفينة ، إذا خَرْقُها لم يباشر ركوبَها ، وإنما كانت هناك مهلة بينهما ، فناسب ذلك ترك الفاء في كلمة

(١) سبق تخريجه.

﴿المجادلة الحشر ﴾، أمّا قتل الغلام جاء بعد لقياه مباشرة ، يقول الزمخشري: "فإن قلت: فلم خولف بينهما ؟ قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب ، وقد تعقب القتل لقاء الغلام."(١)

أيضا هناك مغايرة أخري في بناء هذا المشهد ؛ حيث جاء بكلمة " غلام " نكرة، ولم يأت بها معرفة كما هو الحال في شأن" السفينة "، فما سرُّ تلك المغايرة ؟

إنما جاء بالسفينة معرفة لأنها كانت معلومة هي وأصحابها للخضر، وقد سبق بيان هذا في حديثنا عن تعريف السفينة ، أمّا عن تنكير الغلام ، فالغلام بالنسبة للخضر كان مجهولا لاعلم له به من قبل ، وهذا أوقع أثرا في إدخال الغموض على الحدث ، وفي إثارة موسى ؛ حتي تخرجه عن صبره ، فيقول ماقال فلا معرفة لك بالغلام من قبل ، ولم تر منه شيئا يدعوك لفعل مافعلت؛ فكيف تقتل صغيرا بغير حق ؟ .لذا لم يصبر موسى ـ عليه السلام ـ فقال : ﴿القارعة التكاثر العصر الهمزة ﴾ ، وقد جاء الكلام مؤكدا علي مايقتضيه الظاهر ؛حيث إنّ الجرم الذي وقع يستدعي تأكيده .

والمشهد الأوّل في الآية الكريمة يغلب عليه الإيجاز ـ كما سبق ـ ، أمّا قول موسى ـ عليه السلام ـ ففيه شيء من الإطناب ؛ حيث قال : ﴿العلق القدر البينة الزلزلة العاديات ﴾، وكان يكفيه أن يقول : "

(١) الكشاف ٧٣٦/٢

أَقَتَلْتَه " بإيقاع القتل على ضمير الغلام ، إنّ ما جاء به موسى يكشف عمّا بداخله من حيرة وعجب من قتل الخضر غلاما بغير نفس ، ومن على هذه الشاكلة من حيرة واضطراب يحتاج بسط القول ؛ لعله يخفف عنه شيئا من هول المفاجأة ، كما أنّ الإطناب الذي جاء به موسى ﴿ الْقَتْلَ الْبَيِّنَةَ الزَّلْزَلَةَ الْعَادِيَاتِ ﴾، وإيقاع القتل على نفس زكيّة بغير نفس أدخل في بيان بشاعة الجرم الذى فعله الرجل ، فإيقاع القتل على النفس أوقع أثرا على المستمع من إيقاعه على الضمير .

وحتي يصل الذنب غايته ، وبشاعة الصنع ذروتها وصف النفس بقوله : ﴿ الْبَيِّنَةَ ﴾، فهي نفس زكيّة لم يقع منها شر قط ، وهذا أدعى في بيان بشاعة الجرم ، فلو كانت نفسا مجرمة ما كان الرجل أهلا لكل هذا العتاب واللوم ، ولكنها نفس زكيَّة لم يقع منها ذنب قط ، فكيف تقتلها ؟

هذا وقد وقرأ البعض " زاكية " يقول البغوي :" قَرَأَ ابْنُ كَثِير وَنَافِعٌ وَأَبُو جَعْفَر وَأَبُو عَمْر و: زَاكِيَةً بِالْأَلِفِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ زَكِيَّةً، قَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، مِثْلُ: الْقَاسِيَةُ وَالْقَسِيَّةُ، وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ: الزَّاكِيَةُ الَّتِي لَمْ تُذْنِبْ قط، والزكية الَّتِي أَذْنَبَتْ ثُمَّ تَابَتْ "(١) ، الرجل ذكر

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢٠٨/٣ ،لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ،الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت

=

الوجهين السابقين ، ثم ذكر قول الكسائي والفرَّاء إنّ الكلمتين معناهما سواء ،كالقاسية والقسيَّة ، أمّا أبوعمرو بن العلاء فقد ذهب إلي وجود فرق بينهما ؛ وهو أنَّ الزاكية التي لم تذنب قط ، والزكيَّة التي أذنبت ثمَّ تابت ، والوجه عنده " زاكية " ، كما جاء في نص البغوي السابق ،بل صرَّح أبو عمرو بن العلاء أنّ هذا الوجه من القراءة أولى من الآخر ؛ جاء ذلك في إعراب القرآن للنحَّاس ؛ حيث يقول :" وقرأ الكوفيون زَكِيَّةً فزعم أبو عمرو أن زاكية هاهنا أولى ؛ لأن الزاكية التي لا ذنب لها: وكان الذي قتله الخضر صلّى الله عليه طفلا، وخالفه في هذا أكثر الناس فقال الكسائي والفراء: معناهما واحد " (١) .

وكلام أهل العلم يحتاج مناقشة حتي نصل إلي ما هو أولي في هذا المقام ، فما ذهب إليه الكسائي والفراء من أنّ الوجهين سواء ، وأنَّ المعني في كل واحد ، في النّفس شيء منه ؛ لأن إطلاق الكلام علي عمومه ، وجعل الوجهين سواء لا يليق ببلاغة القرآن ، فما من كلمة تعددت أوجه القراءة بها إلاّ وفي كل وجه نكتة لا توجد في الآخر ، حتي وإن خفي علينا السر فلا ينفي وجود الفرق ، ثم السياق يرجح واحدة علي أخرى ، وإلاّ فما الداعي لتعدد القراءة مادام لا يوجد فرق، وهو باب واسع

الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

(١)إعراب القرآن ٣٠٢/٢ ،لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) ،وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ،الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .

من العلم ليس هذا وقته . وما ذهب إليه أبو عمرو من أنّ "زاكية " أولي من " زكيّة " وأنّ النفس الزاكية التي لم تذنب قط ، لا تميل إليه نفسي أيضا ، ولا يؤيده سياق الكلام ؛ حيث إنّ المقام مقام إنكار علي قتل غلام صغير لم يذنب قط ، وهذا المعني تأخذه من " زكيّة " لا من "زاكية " لأنّ الأولي بها قوة وزيادة لا توجد في الثانية ، جاءت من تضعيف الياء ، فالذي يناسب النفس التي لم تذنب قط " زكيّة " مبالغة في طهرها من الذنب ، لا " زاكية " ، فزيادة المبنى تدل علي زيادة المعنى كما يقال ، وقد أشار العلّامة ابن جني إلي هذا لجانب من القول ، فجعل في كتابه الممتع "الخصائص" بابا سماه "قوة اللفظ لقوة المعنى" وذكر فيه التضعيف ، والذي يعطي اللفظ قوة يقوى بها المعنى، وجاء فيه " ومن ذلك أيضًا قولهم: رجل جميل، ووضيء، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: وضّاء، وجمّال، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة معناه؛ قال:

والمرء يلحقه بفتيان الندى ... خلق الكريم وليس بالوضّاء

..... وكذلك حسن وحسّان، وكأن أصل هذا إنما هو لتضعيف العين في نحو المثال؛ نحوقطّع وكسّر وبابهما. "(١) ، الكلام السابق واضح في أنّ التضعيف يقوّي اللفظ ، والذي يلزم عنه قوة المعنى ، والذي يناسب المقام ، ويجعل النفس طاهرة لم يقع منها ذنب قط هو زكيّة ،وقد ذكر

---

(١) الخصائص ٢٦٩/٣ ، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: الرابعة .

النحّاس كلاما يؤكد هذا ، ويرد علي أبي عمرو فقال :" وقال غيرهما: لو كان الأمر على ما قال لكان زكيّة أولى ؛ لأن فعيلا أبلغ من فاعل "(١) ، هذا الكلام يخرج من مشكاة كلام ابن جني ، ويؤكد ما تميل النفس إليه من أنّ " زكيّة " أبلغ في نسبة الطهر إلي تلك النفس وخلوها من الذنب من "زاكية " ، وهذا أدخل في بيان بشاعة الجرم ، وأولي في إثبات العذر لموسى ـ عليه السلام ـ ونفي الصبر عنه .

ثم ارتقى موسى درجة أعلى في تلك النبرة التي تجعل السامع يحزن علي الغلام ، ويعجب لقتله ،ويخرج عن صبره فينكر ، وإن كلفه ذلك نقض عهد وميثاق قطعه الرجل على نفسه ، فقال : ﴿ الزلزلة العاديات ﴾،والمستمع حاله حال موسى من العجب ، أيسكت بعد أن قُتِلَ الغلام بغير ذنب ؟أم يظل محافظا على عهده وميثاقه ولا ينقضه ؟ إنّ عوام البشر ـ لمجرد أن سمعوا ـ لا يطيقون صبرا على هذا دون أن يتكلموا ، مهما كانت العهود والمواثيق ، فما بالنا بكليم الله ـ تعالى ـ الذي رأي بعينه غلاما يقتل بلا ذنب ولم يدفع عنه ؟ وهو الذي ظلّ عمره كله يدافع عن الحق وأهله ؟ أنسينا قصة الرجل الذي من شيعته واستغاث به ؟ أو ننسى خبر المرأتين اللتين كانتا تزودان غنمهما وأبوهما شيخ كبير ، وكيف سقى في حقّهما إنّ رجلا بهذا الوصف لايسكت على كل هذا الشر، مهما كانت العهود والمواثيق ، وأيُّ عهد وميثاق تطالب به أمام قتل غلام بلاذنب ، فلم يجد موسى ـ عليه السلام إلاّن يقول : ﴿ العلق القدر

---

(١) إعراب القرآن ٢/٣٠٢

﴿ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ ﴾ .

ولمّا خرج موسى . عليه السلام . عن صبره ، ونقض عهده مع الخضر مرة أخرى، إذا بالخضر يذكرّه بقول له : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿بِسْمِ﴾ .، الاستفهام في الآية يفيد التقرير والعتاب واللوم علي ما وقع من موسى ، وهناك تغاير ظاهر في هذه الآية عن نظيرتها : ﴿ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ ﴾؛ والتغاير يتمثل في زيادة ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾ ، في قتل الغلام دون مشهد خرق السفينة ، فما سرُّ زيادتها هنا؟

إنّ زيادة "لك " في هذا المقام لنكتة رائعة يقتضيها السياق ؛ حيث إن الآية الأولي كانت تفيد التقرير والعتاب واللوم على ما وقع من موسى من مخالفة للخضر ، فناسب ذلك أن يذكره بقوله : ﴿ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ ﴾ ، فلما خالفه مرة أخري ، ووقع فيما نهي عنه تارة أخري ، والعهد بسابقتها قريب ، ناسب ذلك أن يرتقي الخضر درجة أعلي في العتاب واللوم، فجاء ب "لك" لزيادة التأكيد ، وكأنّه يعنّفه ويقول له : قلت لك لا لغيرك ، يقول صاحب الكشاف : " فإن قلت: ما معنى زيادة لَكَ؟ قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية،

والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية."(١) ، وقريب منه قول ابن عطية :"وقوله أَلَمْ أَقُلْ لَكَ زجر وإغلاظ ليس في قوله أولا أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٢) ، فالزمخشري جعل زيادة " لك " زيادة في العتاب ، وابن عطيه جعلها زجرا وإغلاظا، ومضمون الكلامين قريب ، أمّا الفخر الرازي فقد بالغ في القول؛ حيث يقول " زَادَ ها هنا لَفْظَةَ لَكَ لِأَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ تُؤَكِّدُ التَّوْبِيخَ "(٣)

جعل الرازي زيادتها توبيخا ، وهذا لا يليق بمقام النبوة ، فضلا عن أنّ المتكلم رجل آتاه الله علما من لدنه ، فنقبل قول من قال بالعتاب أو الزجر أو إغلاظ القول ، أمّا التوبيخ فلا ، والذي يشفع للرازي أنّه أراد المبالغة في بيان أنّ الثانية فيها عتاب ولوم أكثر من الأولي ، أوأنّه يعني بالتوبيخ العتاب واللوم .

وبعد أن وقع موسى ـ عليه السلام ـ فيما نهى عنه الخضر مرَّة أخرى ، وذكّره الخضر بالعهد بالذي كان بينهما ، إذا بموسى ـ عليه السلام ـ يقول:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴾ ، ها هو ذا يقطع على نفسه ميثاقا جديدا ، لا عذر له بعده ،فإمّا الوفاء ، وإمّا الفراق ،

---

(١) الكشاف ٢/٧٣٦

(٢)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٣/٥٤٢

(٣) مفاتيح الغيب ٢١/٤٨٧

والسامع يتمنى أن لو سكت موسى في هذا المقام ، وأن لا يأخذ على نفسه هذا العهد حتي يمتّعنا بأعاجيب أخري ؛ من صحبته العبد الصالح ، لكنَّه قطع على نفسه وعلينا هذا ، فليس أمامه إلا عجيبة جديدة، فإمّا أن يصبر عليها حتى يري أعجب منها ، أو يعجل فيكون الفراق ، لذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا "(١)

و هذه الآية تمضي في طريق الإيجاز كسابقها ؛ حيث إنّها اشتملت على بيان ندمه عمّا صدر منه ، ومدحه الخضر في ألفاظ قليلة ، يقول الرازي "وَهَذَا كَلَامُ نَادِم شَدِيدِ النَّدَامَةِ ثُمَّ قَالَ: قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً وَالْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهُ يَمْدَحُهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنْ حَيْثُ احْتَمَلَهُ مَرَّتَيْنِ أَوَّلًا وَثَانِيًا، مَعَ قُرْبِ الْمُدَّةِ"(٢)

قوله تعالى :

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾

مشهد جديد من مشاهد تلك الرحلة المباركة ، نصحب فيه موسى والخضر . عليهما السلام . ؛حيث انطلقا فأتيا قرية ، فاستطعما أهلها فأبوا

---

(١) صحيح البخاري ٣٥/١

(٢) مفاتيح الغيب ٢١ /٤٨٧

إضافتهما، وشر القرى قرية لا يكرم فيها الضيف ، وهذه القرية هي " انطاكية"(١) ، أو " الأيْلَة " (٢) ، كما يقول المفسرون ، ثم توالت الأحداث فوجدا جدارا يريد أن ينقضّ فأقامه ، فكانت النهاية بينهما .

أوّل ما ما يقابلك في هذا المشهد عطفه بالفاء ،كما عطف مشهد خرق السفينة ومشهد قتل الغلام ، وكما قلت سابقا إنّ العطف بالفاء يجعل أحداث القصة تتعاقب سريعا ، فليس هناك وقت يُتْرَكُ فيه السامع ، حتّي يفكر في تلك المشاهد ، فالفاء تجعل المفاجآت والعجائب تتري ، كلما جاءت عجيبة ، وعجز العقل عن فهما ، تلتها أعجب منها ، وقد سبق

---

(١)أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير.فتحها عبيدة بن الجرّاح ، وأسكنها المسلمين ، وهي مدينة عظيمة ليس في الإسلام ، ولا في بلد الروم مثلها ، لأنها في لحف جبل ، هو من شرقها مطل عليها، لا تقع عليها الشمس إلا بعد ساعتين من النهار، وعليها سور من حجارة. ينظر المسالك والممالك ٦٠ ، للحسن بن أحمد المهلبي العزيزي المتوفى: ٣٨٠هـ ،جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، معجم البلدان شهاب الدين= =أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى: ٦٢٦هـ،الناشر: دار صادر، بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م .

(٢) أَيْلَة:: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إلياء بعده، قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير · معجم البلدان ٢٩٢/١

الحديث عن هذا في المشهدين السابقين .

ومما يلفت النظر في هذا المشهد إعادة كلمة "أهل " في قوله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ وكان يكفي أن يقول : أتيا أهل قرية فاستطعماهم، فجاء بالظاهر موضع الضمير، والنكتة في ذلك تتمثل في بيان بشاعة لؤم هؤلاء القوم ، وأن أهل القرية كلهم بخلاء ، فلو جاء بالضمير فربّما خُيِّل للسامع أنّ موسى والخضر . عليهما السلام . طلبا الطعام من البعض فقط ، فيكون الذم راجعا للبعض دون الكل ، وعليه لن يكون لموسى . عليه السلام عذر في إنكاره بناء الجدار ، فربما كان الجدار للفئة الأخرى التي لم يطلب منها الطعام ، كما أنّ إيقاع الفعل على صريح لفظ الأهل أشد ذما من إيقاعه على ضميرهم ، يقول الشيخ ابن عاشور:" وَإِظْهَارُ لَفْظِ أَهْلَها دُونَ الْإِتْيَانِ بِضَمِيرِهِمْ بِأَنْ يُقَالَ:اسْتَطْعَمَاهُمْ، لِزِيَادَةِ التَّصْرِيحِ، تَشْنِيعًا بِهِمْ فِي لُؤْمِهِمْ، إِذْ أَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا. وَذَلِكَ لُؤْمٌ، لِأَنَّ الضِّيَافَةَ كَانَتْ شَائِعَةً فِي الْأُمَمِ مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مِنَ الْمُوَاسَاةِ الْمُتَّبَعَةِ عِنْدَ النَّاسِ. وَيَقُومُ بِهَا مَنْ يُنْتَدَبُ إِلَيْهَا مِمَّنْ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ عَابِرُ السَّبِيلِ وَيَسْأَلُهُمُ الضِّيَافَةَ، أَوْ مَنْ أَعَدَّ نَفْسَهُ لِذَلِكَ مِنْ كِرَامِ الْقَبِيلَةِ فَإِبَايَةُ أَهْلِ قَرْيَة كُلِّهِمْ مِنَ الْإِضَافَةِ لُؤْمٌ لِتِلْكَ الْقَرْيَةِ. (١)

وقد ذكر الرازي أنّ التكرار للتأكيد ؛ حيث يقول :" لِمَ قَالَ: حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَة اسْتَطْعَما أَهْلَها وَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُقَالَ اسْتَطْعَمَا مِنْهُمْ، وَالْجَوَابُ

(١) التحرير والتنوير ٧/١٦

أَنَّ التَّكْرِيرَ قَدْ يَكُونُ لِلتَّأْكِيدِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَيْتَ الْغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعِبُ دَائِمًا ... كَانَ الْغُرَابُ مُقَطَّعَ الْأَوْدَاجِ" (١)

و الوجهان السابقان يؤكد بعضهما بعضا وقد ذكرهما أيضا السمين الحلبي ، فقال: " وفي تكريرِ «أهلَها» وجهان ، أحدهما: أنه توكيدٌ من بابِ إقامةِ الظاهر مُقامِ المضمر كقوله:

لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شيءٌ ... نغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا

والثاني: أنَّه للتأسيسِ ؛ وذلك أنَّ الأهلَ المَأْتِيِّين ليسوا جميعَ الأهل، إنما هم البعضُ، إذ لا يمكن أَنْ يأتيا جميعَ الأهلِ في العادة في وقت واحد، فلمَّا ذَكَرَ الاستطعامَ ذكره بالنسبة إلى جميع الأهل كأنهما تَتَبَّعا الأهلَ واحداً واحداً، فلو قيل: استطعماهم لاحتمل أنَّ الضميرَ يعودُ على ذلك البعضِ المأتِيِّ دونَ غيرِه، فكرَّر الأهلَ لذلك."(٢)

ثم نعود للبلاغة القرآنية في اختيار المفردة ، وطريقة بنائها ؛ وذلك من خلال كلمة ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ دون غيرها مما قد يؤدي المعني ، نحو" امتنعوا "، أو " رفضوا " ، إنّ الكلمة التي جاء بها الذكر الحكيم أبلغ في إفادة البخل

---

(١) مفاتيح الغيب ٢١/

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،٧ /٥٣٣ ،لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ،الناشر: دار القلم، دمشق.

من غيرها ، فهي تفيد المبالغة في نفي الضيافة عن أهل القرية بالكلية ، فهم لايقدّمون للضيف شيئا ، يقول العسكري : " : الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع: وليس إباء "(١)

ومنه إيقاع الفعل السابق ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ علي أن والفعل﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ﴾دون الاسم فيقول:" فأبوا تضيفهما" ، ومن المعلوم أنّ الفعل يفيد التجدّد والحدوث ، والاسم الثبوت والدوام ، ولكن لايكفي هذا ، فليس غاية القول أن نقول الفعل يفيد التجدد والحدوث، والاسم الثبوت والدوم ، وإنّما نفس البلاغيّ كلفة بالسياق ، الذي يملي علي المتكلم الفعل أو الاسم ، يقول الشيخ أبو موسى:"..... فلا يغريك القول بأن الفعل للتجدد، والاسم للثبوت فتطلقه هكذا فيما ترى من شواهد ؛ لأنك إن فعلت فأنت لم تفعل شيئا يعتد به، وكان حالك كحال من يقول في كل تقديم: إنه قدم للاهتمام ، وإنما المهم أن تتعرف على مجرى المعنى وسياقه، وكيف كان تجدد الحدث أو ثبوته يخصب المعنى، ويبسط حواشيه ؟ وكيف يكون مهدرا لأجزاء من المعنى ينطفئ بها الكلام؟ وهكذا.(٢)

قلت : إنّ التعبير بالفعل دون الاسم هو الحسن واللائق بالمقام ؛ حيث إنّ المقام مقام توبيخ لقوم لئام لا يكرمون ضيفهم ، وهذا المعنى تأخذه من طريق الفعل لا من طريق الاسم ، وذلك أن الفعل يدل علي التجدد والحدوث كما هو معلوم ، و الاسم يدل علي الثبوت والدوام ، والمناسب

---

(١) الفروق اللغوية ٨

(٢) خصائص التراكيب ٣٠١

للسياق أن تجعل رفض الضيافة يتجدد لا ثابتا ، كلّما جاءهم ضيف علي فترات متباعدة كان حالهم بخلا ، فإن قلت : أليس الأولي في مقام الذم التعبير بالاسم ، فتجعل البخل دائما لاينقطع ،قلت : إنّ هذا يجعل حلول الأضياف بهم دائما لاينقطع ، فهل من المعقول أنّ قوما وصلوا في البخل غايته يكونون قبلة للضيف ؟ إنّ المناسب للمقام أن تجعل الضيف ينزل بهم علي فترات متباعدة ، فإذا نزل بهم كان حظه منهم بخلا .

وقوله : ﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾استعارة تصريحية تبعية ؛ حيث استعيرت الإرادة للمشارفة على الوقوع ، بجامع الميل إلي الشيء في كل ، يقول الزمخشري:" يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة ، كما استعير الهمّ والعزم لذلك." ويقول ابن عاشور : " وَمَعْنَى يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ أَشْرَفَ عَلَى الِانْقِضَاضِ، أَيِ السُّقُوطِ، أَيْ يَكَادُ يَسْقُطُ ، وَذَلِكَ بِأَنْ مَالَ ، فَعَبَّرَ عَنْ إِشْرَافِهِ عَلَى الِانْقِضَاضِ بِإِرَادَةِ الِانْقِضَاضِ عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِعَارَةِ الْمُصَرِّحَةِ التَّبَعِيَّةِ بِتَشْبِيهِ قُرْبِ انْقِضَاضِهِ بِإِرَادَةِ مَنْ يَعْقِلُ فِعْلَ شَيْءٍ فَهُوَ يُوشِكُ أَنْ يَفْعَلَهُ حَيْثُ أَرَادَهُ، لِأَنَّ الْإِرَادَةَ طَلَبُ النَّفْسِ حُصُولَ شَيْءٍ وَمَيْلُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ."(١) ، وترجع بلاغة الاستعارة إلي تصوير غير العاقل الذي لا إرادة له ، بصورة العاقل الذي له إرادة ، وهذا أدخل في تمكين المعنى في ذهن السامع، وجعله محسوسا ، تراه عينه ، وتقع عليه يده ، كما أن التعبير بالمجاز فيه مبالغة في بيان ميل الجدار ، ومشارفته علي الوقوع ؛ حيث إنّ فيها تشبيها برجل عجوز انحني ظهره ، وغاب عنه عكّازه ،

---

(١) التحرير والتنوير ٨/١٦

فأوشك علي أن يقع علي الأرض ، فوجه الشبه في جانب المشبه به أقوى وأوضح، يقول صاحب البلاغة العربية :" ففي هذا نقل صفة الإرادة التي هي للحيّ المريد ، وإضفاؤها على الجدار الذي لا حياة له ولا إرادة، لأنَّ صورة الجدار هذا تُحْدِثُ في تخيّل الناظر إليه أنّه كعجوز من النَّاس هَرِم، وهو يريد أن يستريح من قيامه ويسقط إلى الأرض انقضاضاً كانقضاض الطائر راكعاً أو ساجداً أو مستلقياً ، فأعطاه صفة الإرادة وصفة انقضاض الطائر.(١)

ولا يخفي علي القارىء سرُّ العطف بالفاء في قوله : ﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾، فقد تكرر العطف بها ثلاث مرات ؛ أمّا العطف بها في الموضع الأوّل: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾فيه دليل علي لؤم أهل القرية ، وشدة بخلهم ؛ فما إن طلبا منهم ، إلاّ وجاء الرفض دون رويّة ، فلم يعطوا أنفسهم مهلة يفكروا فيها في شأن الرجلين ، وإنّما يسارعون إلي الرفض ، فهذا طبعهم .

وأمّا العطف بها في الموضع الثاني﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

---

(١) البلاغة العربية ٩٢/١، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ،المتوفى: ١٤٢٥هـ

الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

﴿ فهذا دليل علي أنّ الجدار المائل كان ظاهرا لكل الناس ، فلو عطف ب "ثمّ " ربما يقع في النّفس أن الرجلين قد غادرا إلي مكان بعيد عن هؤلاء اللئام ، فوجدا هذا الجدار ،ولكنّ الجدار كان بينهم ، وهذا أوقع في بيان لؤم القوم ، فهو أمامهم ، ومع ذلك لم يفكر واحد منه في إقامته لهؤلاء الأيتام ، فموسى والخضر لم يتركا مكان اللئام بعد ، فالجدار بينهم .وإذا كان العطف بالفاء في الموضعين السابقين يكشف عن لؤم أهل القرية إلاّ أنّ العطف بها في الموضع الثالث﴿ ﴾ يكشف عن طبيعة أهل الخير ، فإنّهم يطيرون إلي الخير طيرا ، فالخضر تعجّل في إصلاح الجدار ، بعد أن ضنّ أهل القرية بالطعام ، فالعطف بالفاء أفاد ما كان عليه الخضر من عجلة حتي يقيم الجدار ، وكأنّ صنع القوم به لم يمر بخاطره ، ولم يمنعه عن فعل الخير ، فأصحاب الهمم العالية لا يتاكسلون عن فعل الخير حتي ولو كان في غير أهله .

ولمّا أقام الخضر الجدار لقوم بخلوا عليه بالطعام ، استنطق هذا الفعل موسى ـ عليه السلام ـ للخضر: ﴿ ﴾ ، يعنى لو أردت الأجرة منهم لأخذتها ، فكانت عونا لنا على حاجتنا هذه ، ومن الملاحظ تقديم "عليه" على المفعول به " أجرا" ؛ وبلاغة هذا التقديم ترجع إلي نكتتين ؛ الأولي لفظية تتمثل في المحافظة علي الفاصلة القرآنية ، والثانية تتمثل في الاهتمام به .فهو عمل نستحق عليه الأجر.

وفي قوله :﴿ ﴾ كان يكفي أن يقول : " هذا فراق بيننا"،ولكنه أعاد الكلمة لتأكيد الفراق ، حيث اقترن الفراق مرة بضمير الخضر ، ومرة بضمير موسى ـ عليهما السلام ـ فلا يحق لنا أن تستمر

الصحبة بأي حال من لأحوال .

هذا وقد جاء ﴿ سُورَةُ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾مفصولا عمّا قبله لما بينهما من شبه كمال الاتصال ؛ حيث أثار الكلام السابق عليها سؤالا، تصلح تلك الجملة أن تكون جوابا عنه ،يقول ابن عاشور: "وَجُمْلَةُ سَأُنَبِّئُكَ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا، تَقَعُ جَوَابًا لِسُؤَالٍ يَهْجِسُ فِي خَاطِرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَسْبَابِ الْأَفْعَالِ الَّتِي فَعَلَهَا الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَأَلَهُ عَنْهَا مُوسَى فَإِنَّهُ قَدْ وَعَدَهُ أَنْ يُحْدِثَ لَهُ ذِكْرًا مِمَّا يَفْعَلُهُ.(١) وبلاغة الفصل تنبيه المخاطب ولفته إلى سر الفراق .

بعد أن خالف موسى . عليه السلام . ، وتعجّل وسأل ولم يصبر على رؤية تلك العجائب ، وتحتم الفراق بين الرجلين ، جاء الوقت الذي يكشف فيه الخضر ما خفي علي موسى وعلينا ، وهذا ما سيظهر في المحور القادم إن شاء الله تعالي.

---

(١) التحرير والتنوير ١٠/١٦

المحور الرابع
تأويل ما لم يستطع عليه صبرا

هذا المحور يمثله قوله ـ تعالى ـ : ﴿ الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين ﴾ [1] .

هذا المحور هو آخر محاور هذه القصة المباركة ، وهو يكشف الأسرار الغامضة التي دعت الخضر ليخرق سفينة حُمِلا فيه بغير أجر ، ويقتل غلاما صغيرا بلا ذنب ظاهر ، ويقيم جدارا في قرية أهلها لئام ، استطعماهم فأبوا أن يضيفوهما ، وَمَنْ عنده صبر حتي يصبر علي كل هذا؟، حتي ولو كان نقض العهد ثمنا ؛ لذا وجب الفراق ، ووجب البيان .

ومن الملاحظ أنّ بيان الخضر قد جاء بعد مشهد بناء الجدار

---

(١) الكهف ٧٩ _ ٨٢

مباشرة، فلم يرد في الآيات بعد مشهد الجدار إلاّ قوله ﴿ { } { } ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾ ،إذ لا داعي لبسط الكلام ، مادامت العجائب قد انتهت ، وتحتّم الفراق ، فمجيء البيان بعد الابهام مباشرة أوقع أثرا في النفس من أن تشغلها بشيء آخر لا فائدة من ذكره ، فلو فصلت بين كشف الخضر ما خفي علينا بكلام جديد ، فربما خففّ من وقع الأحداث السابقة علي نفس موسى ـ عليه السلام ـ ولم يكن لكشف المستور رونقه ، فيكون حاله حال من يعاني ألم الجوع ، فعلّلته بشيء ، حتي كاد يشبع بلا طعام ، وينسى جوعه وهو يتلوّى ، ثم جئته بالطعام ، فلن تكون له لذة المشغول به ، إنّ ما جاء به النظم يقع علي النفس وقع الماء علي ذي الغُلَّة الصّادي .

وقد جرى كلام الخَضِر وبيانه علي ترتيب الأحداث التي وقعت من قبل ؛ فبدأ بمشهد خرق السفينة ، فقال : ﴿ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طه الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ ﴾

و " أمّا " في مطلع الآية السابقة تفيد تأكيد الخبر، وهو من مقتضى الحال في هذا الموضع من القصة ؛ حيث إنّ لها أثرا بارزا في تقرير الأخبار التي سيذكرها الخضر على موسى عليهما السلام .

ومن الملاحظ أنّ عيبه السفينة المعبر عنه بقوله﴿ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ ﴾ مسبب عن قوله﴿ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طه الأَنْبِيَاءِ

الحج المؤمنون ﴾ فكان حقه التأخير ، حيث إنّ خوفه من ظلم الملك دعاه لعيبها ؛ وإنما قُدِّم للاهتمام به من جهة ، ولبيان أنّ هناك سببا آخر لخرقها ؛ وهو أنّها لمساكين ، فهم يستحقون الشفقة أكثر من غيرهم ، يقول صاحب الكشاف:"فإن قلت: قوله فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب ، فَلِم قُدّم عليه ؟ قلت:النية به التأخير، وإنما قدم للعناية، ولأنّ خوف الغصب ليس هو السبب وحده، ولكن مع كونها للمساكين(١)

هذا ومن الملاحظ أنّ الفعل ﴿ إبراهيم ﴾ قد وقع علي المفعول المؤول من أن المصدرية والفعل ﴿ الحجر النحل ﴾ ، فَلِمَ أتي بالمفعول مصدرا مؤولا من أن والفعل ولم يات به مصدرا صريحا فيقول: فأردت عيبها ؟

إنّ مجيء المفعول في هذا المقام مصدرا مسبوكا من أن والمضارع أبلغ من مجيئه مصدرا صريحا ؛حيث إن خرق السفينة لم يكن مقصودا لذاته ، وإنّما من أجل هذا الملك الظالم الذي يأخذ كلّ سفينة غصبا ، معني ذلك أنه أراد أن يحدث فيها عيبا يصرف الملك عنها فحسب ، ولا يظل هذا الخرق قائما فيها بعد ذلك ، وهذا المعنى تأخذه من طريقة بناء المفعول من أن والمضارع ، حيث إنّ الفعل يفيد التجدد والحدوث ، ودلالة المصدر المأخوذ من أن والفعل تدل علي زمن معين ، وهو إرادة عيبها وقت مرور الملك ، أمّا المصدر الصريح فيكون عيب السفينة دائما فيها ، وهذا ليس

---

(١)الكشاف ٧٤٢/٢

مرادا ، فالتعبير الذي جاء به النظم الحكيم تشعر فيه بشفقة في الخرق ،وحكمة من وراء الفعل ، أمّا المصدر الصريح فيذهب بتلك الرحمة ، ويجعل مكانها عنفا .

وفي قوله:﴿ طه الأنبياء الحج المؤمنون ﴾حذف للصفة ؛ والتقدير :" يأخذ كلَّ سفينة سليمة أو صالحة غصبا " ، والدليل علي الحذف قول الخضر : ﴿ إبراهيم الحجر النحل ﴾ فهذا دليل علي أنّ الملك كان يأخذ السليمة ويترك المعيبة ، إذ لو كان يأخذ السليمة والمعيبة فلا فائدة من خرقها ، وبلاغة حذف الصفة تتمثل في الإيجاز والاختصار ، وهو مناسب للمقام ؛ فالمقام فيه شغف بمعرفة سرِّ ما غاب عن المخاطب ، والمناسب لذلك أن يطوي من الكلمات ما يجعله يصل لمقصوده سريعا ، فلا مجال الآن للتطويل مادام قد آن وقت الكشف والبيان ، ونكتة أخرى وراء حذف الصفة تتمثل في أنّ ذهاب" صالحة " من الكلام يوحي بذهاب صلاحها في الواقع ، وهذا أدخل في تأكيد الخرق ، إذ جعله الخضر بارزا ، تقع العين عليه من أوّل نظرة ، وهذا أمعن في صرف الملك عنها ، وأقوى في إثارة موسى ـ عليه السلام ـ ونطقه بما قال.

ثم نعود للبلاغة القرآنية في اختيار المفردة ؛ وذلك من خلال كلمة "المساكين " دون غيرها مما قد يقوم مقامها ، نحو " الفقراء " وغيرها ؛ فالمسكين أحسن حالا من الفقير ؛ حيث إن له عملا غير أنه لا يكفيه ، فأصحاب السفينة كانوا يعملون عليها ومع ذلك جعلهم القرآن مساكين ، والمتتبع النظم القرآني يجده قد عبّر عن الفقراء بطريقة توحي بأنهم أحوج من المساكين ، فلا شيء لهم ولا عمل ، من ذلك قوله ـ تعالى ـ﴿ الحجر

النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور
الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة
الأحزاب سبأ فاطر يس ﴾[١]،ففي هذا دليل على أنّ الفقراء أقلّ حالا من المساكين ، فلم يثبت لهم عملا كما أثبته للمساكين في سورة الكهف ، وموضع آخر في سورة البلد يثبت أنّ المسكين أحسن حالا من الفقير ؛ يقول ـ تعالى ـ: ﴿ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر الشورى الزخرف الدخان الأحقاف محمد الفتح الحجرات ﴾[٢] ، فقد أكد " مسكينا " ب " ذا متربة " والمتربة الفقر ، والشيء لا يؤكد إلاّ بما هو أوكد منه ، وقد استقيت تلك المعاني من كلام ابن منظور حيث يقول :" وَرُوِيَ عَنِ الأَصمعي أَنه قَالَ: الْمِسْكِينُ أَحسن حَالًا مِنَ الْفَقِيرِ، وإِليه ذَهَبَ أَحمد بْنُ عُبَيْد، قَالَ: وَهُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا لأَن اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ ؛ فأَخبر أَنهم مَسَاكِينُ وأَن لَهُمْ سَفينة تُساوي جُمْلة، وَقَالَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ: يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً؛ فَهَذِهِ الْحَالُ الَّتِي أَخبر بِهَا عَنِ الْفُقَرَاءِ هِيَ دُونَ الْحَالِ الَّتِي أَخبر بِهَا عَنِ الْمَسَاكِينِ. قَالَ ابْنُ بَرِّيّ : وإِلى هَذَا الْقَوْلِ ذَهَبَ عليُّ بْنُ حَمْزَةَ الأَصبهاني اللُّغَوِيُّ، ويَرى أَنه الصَّوَابُ وَمَا سِوَاهُ خطأٌ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ

---

(١) البقرة من الآية ٢٢٣

(٢) البلد الآيات ١٤ ،١٥ ، ١٦.

بِقَوْلِهِ: مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَة ؛ فأَكد عَزَّ وَجَلَّ سُوءَ حَالِهِ بِصِفَةِ الفقر لأَن المَتْرَبَة الْفَقْرُ، وَلَا يُؤَكَّدُ الشَّيْءُ إلا بِمَا هُوَ أَوكد مِنْهُ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ؛ فأَثبت أَن لَهُمْ سَفِينَةً يَعْمَلُونَ عَلَيْهَا فِي الْبَحْرِ"(١)، بهذ يتبيّن لنا أنّ كلمة "مساكين " هي الأليق والأنسب في هذا المقام من غيرها.

أيضا استخدام كلمة "غصبا" دون غيرها مما يدور في فلكها ويحمل شيئا من معناها ، نحو :يأخذ كلَّ سفينة سرقة ؛ إنَّ كلمة "غصبا " لا يؤدي دورها في هذا المشهد غيرها ؛ فلو قلت : " يأخذها سرقة " لذهب من الآية نكتة مقصودة ؛ حيث إنّ السرقة هي أخذ الشيء في خفاء ، أمّا الغصب فهو أخذ الشيء قهرا ،وهذا المراد إثباته ، فالملك كان يأخذ السفينة من أصحابها ويقهرهم على ذلك ولا طاقة لهم بدفعه عنهم ، ولو حاولوا لعجزوا عن ردعه لغلبتة وقوته ، ففي الغصب معنى الظلم . وهو أخذ مال الغير بلا حق . وزيادة ؛ وهو القهر والعدوان ، فلو عبر بالسرقة لذهب من الآية تلك النكتة ؛ ولفهم أنه يأخذها خلسة وخفية ، ولا عدوان في الفعل ، ولم يكن في الكلام إشارة إلي جبروته وقهره ، يقول الجرجاني في تعريفه الغصب ، : " الغصب: في اللغة أخذ الشيء ظلمًا، مالًا كان أو غيره، وفي الشرع: أخذ مال متقوم محترم بلا إذن مالكه، بلا خفية(٢)

---

(١) لسان العرب ٢١٤/١٣

(٢)كتاب التعريفات١٦٢،لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)

المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر

=

ومن هذا الجانب البلاغي ، وهو الدقة في اختيار المفردة القرآنية نقف كذلك مع عدّة مفردات أخرى منها ؛ في جانب خرق السفينة أسند الفعل إليه وحده فقال: ﴿ إبراهيم الحجر النحل ﴾ ، وفي جانب قتل الغلام أسند الفعل إليه وإلي ربه فقال : ﴿ يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان ﴾، وفي جانب إقامة الجدار أسند الفعل إلي الله ـ تعالى ـ وحده فقال : ﴿ الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم ﴾

إنّ المتأمّل يجد روعة النظم في طريقة بناء هذه الأفعال، وحسن الأدب من الخضر ـ عليه السلام ـ مع ربّه ـ عزّ وجلّ ـ ؛ فالفعل الأوّل وهو خرق السفينة ظاهره شرّ محض ، ولا يستوعب العقل أنّ فيه شيئا من خير ، فناسب أن يسند ما ظاهره الشر إلي نفسه فيقول :﴿ إبراهيم الحجر النحل ﴾ ، وما يتعلق بالغلام أمر مختلط بين الشر والخير ، فقتله شر محض ، وإرادة أن يبدلهما ربهما خيرا منه يعد خيرا ، فناسب ذلك أن يسند الفعل إليه وإلي ربّه ـ تعالي ـ فينصرف جانب الخير إلي الله ، وما ظاهره شرٌّ لنفسه ، وأمّا ما يتعلق بجانب بناء الجدار فهو خير محض ، لا

الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان
الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

يختلف عليه رجلان ، حيث قابل بخل أهل القرية ببناء جدار ، ومثل هذا ليست فيه شائبة شرّ، فهو خير خالص ، فناسب ذلك أن يسنده لربه عزّ وجلّ ، وتلك طريقة رائعة تظهر الأدب الجمَّ في الحوار،وقد استقيت تلك المعاني الرائعة من كلام الكرماني في البرهان ، فهو أوّل من سبق إلي تلك المعاني الرائعة ؛ حيث يقول : "قَوْله فِي الأول {فَأَرَدْت أَن أعيبها} وَفِي الثَّانِي {فأردنا أَن يبدلهما ربهما} وَفِي الثَّالِث {فَأَرَادَ رَبك أَن يبلغَا أشدهما} لِأَن الأول فِي الظَّاهِر إِفْسَاد فأسنده إِلَى نَفسه وَالثَّالِث إنعام مَحْض فأسنده إِلَى الله عز وَجل وَالثَّانِي إِفْسَاد من حَيْثُ الْقَتْل إنعام من حَيْثُ التَّأْوِيل فأسنده إِلَى نَفسه وَإِلَى الله عز وَجل"(١)

ثم أخذ تلك المعاني وزادها إيضاحا ابن عطية الأندلسي فقال: "وجاء في أنباء الخضر عليه السلام في أول قصة "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها " وفي الثانية فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما وفي الثالثة فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا وإنما انفرد أولا في الإرادة لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢) ، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى، وأسند المرض إلى لنفسه، إذ هو معنى نقص ومصيبة، وهذا المنزع يطرد في فصاحة القرآن كثيرا، ألا ترى إلى تقديم فعل البشر في قوله

---

(١)أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ١٧٠

(٢) الشعراء ٨٤

تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١] ، وتقديم فعل الله تعالى في قوله : ﴿قَالَ تَعَالَىٰ:﴾﴿ ﴾[٢] ، وإنما قال الخضر في الثانية"فَأَرَدْنا" لأنه أمل قد كان رواه هو وأصحابه الصالحون، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين، وتمنى البديل لهما، وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى. لأنها في أمر مستأنف في الزمن طويل غيب من الغيوب، فحسن إفادة هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد أيضا ذلك الذي أعلمه الله أنه يريده، فهذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا المقصر"(٣)،

ويعجبني ما ختم به ابن عطية قوله " فهذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا المقصر" فهذا ينفي شبهة أخذه تلك المعاني من الكرماني دون إشارة ، فالرجل اجتهد وهُدي إلي ماقال ، فهو من توارد الخاطر ، والدليل علي هذا أن البيضاوي قال بها أيضا، وإن لم تكن مفصلة كما سبق عند الكرماني وابن عطية ،حيث يقول :" ولعل إسناد الإرادة أولاً إلى نفسه لأنه المباشر للتعييب وثانياً إلى الله وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله، وثالثاً إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين. أو لأن الأول في نفسه شر، والثالث خير، والثاني ممتزج.(٤) ،

---

(١) الصف ٥

(٢) التوبة ١١٨

(٣)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٣/٥٣٧

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٢٩١

وكذلك أخذها بدر الدين بن جماعة الشافعي فقال : "هذا حسن أدب من الخضر مع الله تعالى.أما في الأول: فإنه لما كان عيبا نسبه إلى نفسه.وأما الثاني: فلما كان يتضمن العيب ظاهرا، وسلامة الأبوين من الكفر، ودوام إيمانهما باطنا قال: أردنا، كأنه قال: أردت أنا القتل وأراد الله سلامتهما من الكفر وإبدالهما خيرا منه.وأما الثالث: فكان خيرا محضا ليس فيه ما ينكر لا عقلا ولا شرعا نسبه إلى الله وحده فقال: فأراد ربك." (١)، وما قاله ابن جماعة أوضح وأبين - في بيان حسن الأدب من الخضر - عليه السلام - من خلال هذا الكلام - مما قاله البيضاوي ، وعلى غرار القولين السابقين يأتي قول الفيروزآبادي:" قوله فى الأَوّل: {فَأَرَدْتُّ} ، وفى الثَّانى: {فَأَرَدْنَا} وفى الثالث: {فَأَرَادَ رَبُّكَ} ؛ لأَنَّ الأَوّل فى الظاهر إِفساد، فأَسنده إِلى نفسه، والثَّالث إِنْعام محض، فأَسنده إِلى الله عزَّ وجلّ. وقيل: لأَنَّ القتل كان منهُ، وإِزهاق الرّوح كان من الله عزَّ وجلَّ.(٢) .فما ذكر من معان حول اختلاف الإضافة إلي الفعل في الآيات السابقة هو مما فتح الله به علي أهل العلم السابق ذكرهم ، ولا يقدح تشابه كلمهم في أحدهم .

وعلى هذا النحو الرائع في اصطفاء اللفظة ؛ نقف مع كلمة " المدينة " في قوله تعالى : ﴿ الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور ﴾، وسرُّ وقوفي أمامها هو المغايرة التي أتي بها القرآن الكريم ؛ففي المحور السابق من محاور هذه القصة المباركة ، وجدنا النظم الكريم عبر

---

(١)كشف المعانى فى المتشابه من المثانى ٢٤٣

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣٠٢/١

عنها بكلمة " قرية " في قوله ـ تعالى ـ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ﴾ (١) ، وفي هذا المقام عبّر عنها بالمدينة ، فما سرُّ تلك المغايرة ؟ وكيف تحولت القرية إلي مدينة في هذا الوقت القصير ؟

إنّ المغايرة بين اللفظين يلزم عنها بالضرورة وجود فرق دقيق بينهما ، يجعل كلَّ لفظة أولى بمكانها ، ولا يجوز بلاغة أن تتبادل الألفاظ مواضعها، وهذا أمر شائع في كتاب الله ـ تعالى ـ وقد سبقت الإشارة إلي شيء من هذا في حديثنا عن الفرق بين " الإمر " و " النكر " ، وقلت ما من كلمتين في كتاب الله ـ تعالى ـ ظاهرهما ترادف إلاّ وبينهما فرق دقيق ، وعلى هذا نقف مع هاتين اللفظتين .

أقول : إنّ الوقوف علي سرِّ تلك المغايرة ، والتى جعل القرية تتحول إلي مدينة في زمن غير طويل ، لن نصل إليه إلاّ من خلال معرفة الفرق بين المدينة والقرية في اللغة ؛ حتّى يتسنّى لنا الوقوف على سرِ هذا التغاير ، وقد قرأت كثيرا عما قاله المفسرون في هذا الآية ، فلم أجد ما يروي غُلّتنا في هذا الصدد ، إلاّ إشارة رائعة للإمام البقاعي ـ وستأتي بعد قليل ـ وهذا دليل على أنّ القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق علي كثرة الردِّ، ثم ذهبت إلي أهل اللغة ألتمس الفرق بين اللفظين عندهم ؛ ثم نطبق هذا من خلال السياق علي الآيات ، فوجدت كثيرا منهم لا يفرق بينهما في المعنى ، ويجوّز إطلاق أحدهما على الآخر ؛ يقول الراغب:

---

(١) الكهف من الآية ٧٧

"الْقَرْيَةُ: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وللناس جميعا، ويستعمل في كلّ واحد منهما."(١) ، فاللفظان يتبادلان الموضع عنده ، وقريب منه ما قاله الرازي في تفسيره تلك الآية؛ حيث يقول :" وَفِي الْآيَةِ فَوَائِدُ. الْفَائِدَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ تَعَالَى سَمَّى ذَلِكَ الْمَوْضِعَ قَرْيَةً حَيْثُ قَالَ: إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَة وَسَمَّاهُ أَيْضًا مَدِينَةً حَيْثُ قَالَ: وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ."(٢) ، فمن فوائد الآية عنده أنّ المكان سُمّي مرة قرية وأخري مدينة ، دون تفسير منه لتلك المغايرة ، وعلى غرار القول السابق جاء قول ابن كثير : "فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى إِطْلَاقِ الْقَرْيَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ، لِأَنَّهُ قَالَ أَوَّلًا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَة وَقَالَ هَاهُنَا فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ ﴾﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ﴾(٣) ، ﴿الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى﴾(٤) يَعْنِي مَكَّةَ وَالطَّائِفَ"(٥) فالرجل جعل الآية دليلا

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٦٦٩ ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى: ٥٠٢هـ ،المحقق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

(٢) مفاتيح الغيب ٤٩٨/٢١

(٣) محمد ١٣

(٤) الزخرف ٣١

(٥)تفسير القرآن العظيم ١٦٧/٥

لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)

=

على صحة إطلاق أحدهما على الآخر ، وزاد شاهدا على ما ذهب فذكر آيتي " محمد " و " الزخرف " ، وما قاله السابقون . وهو صحة إطلاق أحد اللفظين موضع الآخر . جائز في اللغة ، لكنه في الكلام المعجز له نظرة أخري ، فالتغاير هنا ليس لمجرد التفنن في الكلام ، أو البعد عن التكرار .

إنّما غاير النظم بين اللفظين لنكتتة رائعة تذهب بذهاب أحد اللفظين من موضعه ؛ تتمثل تلك النكتة في أنّ الآية الأولى ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ﴾ قيلت في سياق ذم لأهل هذا المكان ، وحتي يصل الذم غايته نجعل استطعام موسى والخضر . عليهما السلام . واقعا على أهل القرية جميعا ، وكأنّهما طافا على كلِّ أهل القرية ، فلم يجدا بينهم رجلا يطعمهما ، فكلهم اجتمعوا على صفة البخل، وهذا أبلغ في الذم ، وذلك المعنى لا يأتيك إلاّ من طريق لفظ " قرية " ؛ حيث إنّ القرية تنصرف على فئة من الناس مجتمعة في مكان ما ، وكان من السهل أن تصل لكلّ سكانها بخلاف المدينة ، فناسب ذلك أن يذكر القرية في مقام طلب الطعام ، أمّا المدينة فهي أكثر عددا من القرية ، وذكرها في هذا المقام مظنة أنّ الكلام قائم على المبالغة فحسب ، إذ من المحال أنّ يطوف الرجلان على كلّ أهل المدينة ، وفي موضع إقامة جدار يريد أن

المحقق: محمد حسين شمس الدين

الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت

الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

ينقض فيظهر الكنز الذي تحته ، فيغالب أهلُ القرية اللئامُ الغلامين اليتيمين فيأخذونه ، عبّر بلفظ المدينة ؛ لأنها في مقام تشييد وبناء ، والإقامة والتشييد والتعمير في المدينة أفضل ، حيث إنّ المدينة دار إقامة دائمة عن القرية ، وهذا مايطلبه المقام ؛ فتجعل المكان صالحا للإقامة أبدا ، فأراد بهذا التعبير أن يقيما الجدار ، ويحسنا إقامته ؛ حتى يدوم صلاحه ، وذلك أدخل في أن يبلغ الغلامان أشدهما ، ويستخرجا كنزهما ، يقول العلّامة البقاعي :" ولما كانت القرية لا تنافي التسمية بالمدينة، وكان التعبير بالقرية أولاً أليق، لأنها مشتقة من معنى الجمع، فكان أليق بالذم في ترك الضيافة لإشعاره ببخلهم حالة الاجتماع وبمحبتهم للجمع والإمساك، وكانت المدينة بمعنى الإقامة، فكان التعبير بها أليق للإشارة به إلى أن الناس يقيمون فيها، فينهدم الجدار وهم مقيمون فيأخذون الكنز"(١)

والدليل علي صحة ماسبق أنّ المتتبع النظم القراني يجد لفظ القرية قد ذُكِر في مواضع كثيرة ، أغلبها في مقام أجمع أهلها علي معصية ما ، وأستدل علي ذلك بشاهد واحد ؛ قال ـ تعالى ـ في حديثه عن سيدنا لوط عليه السلام :﴿ الجمعة المنافقون التغابن الطلاق ﴾ (٢)، وقال: ﴿ بِسۡمِ ﴿ ۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٢/ ١٢٢

(٢) الحجر ٦٧

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ (١)

ففي الآيتين حديث عن سيدنا لوط ـ عليه السلام ـ ، وما كان في قومه من فاحشة ؛ حيث كانوا يأتون الذكران دون النساء ، فنزل به العذاب ، ونجّى الله لوطا ومن معه .

فالآيتان بينهما مناسبة ، لكن هناك اختلافا في نظم الآيتين ؛ حيث عبر في الأولى بلفظ "المدينة" وفي الموضع الثاني عبّر بلفظ " القرية " ، إنّ السرَّ في هذا التغاير يرجع لما ذكرته سابقا أن القرية تطلق علي فئة من الناس أجمعوا على أمر معين ، وهذا المعنى تجده في الآية الثانية دون الأولى ، فالملائكة جاءت إلي لوط ـ عليه السلام ـ فعلم الناس بذلك ، فجاءوا إليهم ، وليس من المعقول أن يأتي القوم كلُّهم ، وإنّما جاء بعضهم ، فناسب ذلك أن يعبّر بالمدينة ، لكن الآية الثانية تصور حالهم وقد أجموا على الفاحشة ، فناسب ذلك أن يعبر بلفظ القرية ، أمر آخر يتمثل في أن حال القوم بداية مازالوا فيهم بقية من خير ، فديارهم أهل للإقامة ، وهو المناسب للمدينة ، أمّا في الجانب الآخر فقد أجمعوا على المعصية ، واستحق المكان الزوال فناسب ذلك قرية ، بذلك يتبّن لنا سرّ تحول القرية إلى مدينة في حديث موسى والخضر عليهما السلام .

وعلى هذا الجانب الممتع في اصطفاء الكلمة نقف مع كلمة ﴿ ٱلۡقَصَصَ ﴾ في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلۡفُرۡقَانِ ٱلشُّعَرَآءِ ٱلنَّمۡلِ ٱلۡقَصَصِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ﴾ "

---

(١) الأنبياء ٧٤

وكذلك كلمة ﴿ الْمُجَادَلَةِ ﴾ في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ الْحَدِيدِ الْمُجَادَلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، الأبوان في آية الغلام الذي قتله الخضر ليس بينهما وبين الغلام واسطة ، فهما أبوه وأمّه علي وجه الحقيقة ، فليس المراد بهما الأجداد ، وفي الآية الثانية المقصود بالأبوين الأجداد ، كما قال أهل العلم ، إن الصلاح يعود إلي الجد السابع ، ومما هو معلوم في اللغة أنّ الأب يطلق علي الجد تجوّزا، أمّا الوالد فلا تطلق إلاّ على من ولدك .يقول العسكري :"الفرق بينهما: أن الوالد لا يطلق إلا على من أولدك من غير واسطة.والاب: قد يطلق على الجد البعيد، قال تعالى: " ملة أبيكم إبراهيم " .(١) ، فَلِمَ عبّر بالأب في الموضع الأوّل ، وكان يمكن أن يقول: " وأمّا الغلام فكان والداه مومنين" ؟، أمّا الموضع الثاني فلا يجوز فيه إلاّ ما جاء عليه ؛ حيث إن المراد هنا الجد ، والوالد لا تطلق إلاّ على من ولدك دون واسطه ، أما الأب فتطلق عليه وعلي الجد كما بيّن العسكري .

أقول : إنّ ما جاء به الذكر الحكيم غاية في الدقة والروعة ؛ حيث إنّ المراد هو إظهار صلاح الأبوين في الموضعين سواء ، وهو السبب الذي من أجله قُتِل الغلام ، حتى لا يتأثر الوالدان الصّالحان بفساد ابنهما، ومن أجله أيضا ظلّ الكنز محفوظا تحت الجدار هذا الزمن الطويل حتى يصل لهذين اليتيمين ، فالصلاح عند الطرفين هو الأساس الذي وقعت من أجله تلك الأحداث ، وهذا المعنى يبرز جليّا بما عبَّر به القرآن ؛ وهو لفظ

---

(١) الفروق اللغوية ٥٦٦

الأب ؛ حيث إنّ الأب يطلق على من له سبب في صلاح الشيء وإيجاده ، وقد أخذت هذا المعنى من قول الراغب ـ رحمه الله ـ :"الأب: الوالد، ويسمّى كلّ من كان سببا في إيجاد شيء أو صلاحه أو ظهوره أبا، ولذلك يسمّى النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلم ـ أبا المؤمنين، قال الله تعالى: "النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ "(١) ، .....وقيل: أبو الأضياف لتفقّده إياهم، وأبو الحرب لمهيّجها، وأبو عذرتها لمفتضّها.

ويسمّى العم مع الأب أبوين، وكذلك الأم مع الأب، وكذلك الجدّ مع الأب، قال تعالى في قصة يعقوب: " ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قالُوا: نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً"(٢) ، وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمّهم."(٣) ، فصلاح الأبوين عند الغلام ، والخوف عليهما من أن يرهقهما طغينا وكفرا كان الدافع للقتل ، ولو عبر بالوالدين هنا لم يكن لهما من الصلاح الذي عند الأبوين ، فكم من والدين ولا خير فيهما ، ولم يكن لهما جهد في إصلاح الغلام كما عند الأبوين ، فالأب من كان له دور بارز في صلاح الولد كما بيّن العسكري ، ومع هذا لم نجد أثرا لهما علي ابنهما هذا ، فهما ربّا ونصحا ، ولم يترك هذا أثرا عنده، وهذا يكشف عن سوء خلقه ، وأن التّأديب له لن يؤتي أُكله ، فالكفر ـ وإن طال عمر الغلام ـ مصيره ، وكأنّ التعبر بـ " أبواه " بمثابة العلة لقتله.

---

(١) الأحزاب ٦

(٢) البقرة ١٣٣

(٣) المفردات ٥٧

وللسائل أن يسأل عن سرِّ التعبير بقوله ـ تعالى ـ :﴿ ٱلزُّمَرِ ﴾ دون غيره مما قد يؤدي المعنى ؛ نحو " فَخِفْنا " ، أقول : إن التعبير بلفظ الخشية في هذا المقام هو الأليق به ، ولا يقوم غيره مقامه ؛ كلفظ " الخوف " وغيره مما قد يحمل شيئا من معنى الخشية ، ولبيان بلاغة التعبير بلفظ "الخشية " هنا يجب أن نقف على ما قاله أهل العلم في الفرق بين الخشية والخوف ، يقول الراغب : "الخَشْيَة: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿ ٱلْحُجُرَٰتِ قٓ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ٱلطُّورِ ٱلنَّجْمِ ٱلْقَمَرِ ﴾[1] ، وقال: ﴿ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ﴾[2] ، ﴿ ٱلْقَدْرِ ٱلْبَيِّنَةِ ٱلزَّلْزَلَةِ ٱلْعَٰدِيَٰتِ ﴾[3] ، ﴿ ٱلزُّمَرِ لُقْمَٰنَ ٱلسَّجْدَةِ ٱلْأَحْزَابِ سَبَإٍ ﴾[4] ، وعرّف الخوف بقوله : "الخَوْف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة، كما أنّ الرّجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة، أو معلومة، ويضادّ الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية."(٥)

يفهم من كلام الراغب أن اللفظتين مشتركتان في معنى الخوف ، غير أنّ

---

(١) فاطر ٢٨

(٢) عبس ٨ ، ٩

(٣) ق ٣٣

(٤) المفردات في غريب القرآن ٢٨٣

(٥) السابق ٣٠٣

بينهما فرقا دقيقا ؛ يتمثل في أنّ الخشية تكون عن علم مما يُخْشى منه ؛ كخشية العلماء ربهما ، أمّا الخوف فإنّما يكون من مكروه مظنون وقوعه أو معلوم ، أيضا الخشية فيها معنى زائد عن الخوف ؛ هو أنّ الخشية خوف مشوب بالتعظيم .

وبتطبيق هذا الكلام على الآية الكريمة ، يتبيّن لنا أن لفظ الخشية ـ هنا ـ أولى وأبلغ من غيرها ؛ حيث إنّ قتل الخضر للغلام كان بسبب خشيته على أبويه أن يرهقهما طغينا وكفرا ، وهذا السبب كان الخضر ـ عليه السلام ـ متأكدا من وقوعه ، وهذا ما يفيده لفظ الخشية ، لكن لو عبّر بلفظ " خفنا " سيكون الخضر غير متأكد من وقوع طغيان وكفر الغلام ، وهل من المعقول أن يقتل الخضر نفسا لسبب مشكوك فيه ؟ ، وهذا اللفظ أدخل في إثبات علم الخضر ، وكأنّه بمثابة التعريض لموسى ـ عليه السلام ـ عندما قال إنّه أعلم أهل الأرض ، فها هو أمام رجل يقتل لسبب غير مشاهد لنا ، لكنه له كالعيان ، نكتة أخرى في لفظ الخشية نأخذها من تعريف الراغب لها ؛ هي أنّ الخشية فيها معنى التعظيم ، وهو مالا تراه في الخوف ، فالإنسان يخاف المرض ولا يعظمه ، فالخضر ماحمله على القتل إلاّ تعظيمه لله ـ تعالى ـ حتّى لا يكفر به أحد ، ما أجمل القرآن ، أرانا رجلا يعظّم الله ـ تعالى ـ قاتلا لغلام ، مفسدا سفينة لمساكين ، فلمّا ظهر ما غاب عنّا سببه تبيّن أنه تدبير الحكيم الخبير .

وعلى هذا النحو البلاغي ـ وهو الدقة في اختيار المفردة القرآنية ـ نقف مع الفعل المضارع﴿ عَبَسَ ﴾ في قول الخضرلموسى ـ عليهما السلام ـ وا ﴿ الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير

الانفطار ﴾ ؛ حيث إنّ هناك فرقا في طريقة بنائه بينه وبين سابقه في نهاية المحور الثالث ؛ في قول الخضر ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة ﴾ .، حيث أثبت التاء بعد السين في الفعل الأوّل ، وحذفها في الثاني ، فَلِمَ غاير بينهما في الموضعين ؛بإثباتها في الأوّل وحذفها في الثاني ؟

أقول : إنّ المتتبع السياق الذي قِيلَ فيه الفعلان يجده يحتّم أن يرد الفعلان على تلك الصورة ؛ حيث إنّ المعنى المسوق له الكلام لن نصل إليه إلاّ من خلال تلك الطريقة المحكمة في بناء الفعلين ؛ ففي الموضع الأوّل الذي أثبت فيه التاء كان موسى ـ عليه السلام ـ على حاله من خفاء الحكمة من الأفعال العجيبة التي فعلها الخضر ـ عليه السلام ـ من خرق للسفينة ، وقتل للغلام ، وإقامة جدار لقوم لئام ، دون ظهور سبب يدعو لفعل كلِّ هذا ، فمازال موسى ـ عليه السلام ـ يحمل في نفسه هما وثقلا من وراء هذه الأفعال التى عجز عن إدراك سبب لها ؛ فناسب ذلك أن ياتي بالتاء في الفعل ، فوجودها في الكلام يشعر بوجود الثقل عند موسي ، فثقل اللفظ يوحي بثقل المعنى ، فالأسباب لم تتكشف بعد ، أمّا الموضع الثاني الذى حذف فيه التاء فجاء بعد الكشف والبيان ، فقد ظهر ماكان غائبا عن موسى ـ عليه السلام ـ ، وأدرك الأسرار التي حملت الخضر ـ عليه السلام ـ على فعل ما فعل ، فالثقل والهمُّ والرغبة التي كانت عند موسى ـ عليه السلام ـ قد زالت ، فناسب ذلك أن ياتي باللفظ خفيفا ، فذهاب التاء من اللفظ يوحي بذهاب الثقل من عند موسى عليه السلام .

ومما يؤكد صحة التوجيه السابق ما جاء بعد هذه القصة في حديث

القرآن عن يأجوج ومأجوج بعد أن جعل ذو القرنين بينهم وبين القوم سدا ، يقول . تعالى . ﴿ النصر المسد الإخلاص الفلق الناس بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (١) ،فالفعل الأوّل المراد به بيان أنّ يأجوج ومأجوج عجزوا عن تسلق هذا السد ، وتسلق الشيء أسهل من ثقبه ؛ فعبر في جانب تسلقهم ﴿النصر المسد الإخلاص الفلق ﴾ بلا إطناب فحذف التاء من الفعل ، والتي توحي بخفة الصعود، وفي جانب ثقبه جاء بالكلام مشتملا علي التاء فقال : ﴿الناس بسم الله الرحمن الرحيم ﴾.، فهذان موضعان متقاربان في المعنى ، فلمّا كان الفعل ثقيلا علي النفس أثبت التاء في الموضعين ، ولمّا زال هذا الثقل ناسب ذلك أن تذهب التاء من الفعل .

هذا وإذا كانت الآية الآخيرة من هذا المحور قد جاءت مشتملة على الإيجاز بحذف التاء من الفعل ﴿ عبس ﴾؛ لنكتة رائعة سبق ذكرها ، فإنّ الآية نفسها اشتملت على موضعين للإطناب ؛ بوضعه الظاهر موضع الضمير ، الأوّل في قوله : ﴿ الطلاق التحريم ﴾فكان يكفي إعادة الضمير عليه دون التصريح بالكنز، فيقول : " وّيسْتَخْرِجَاه " ؛ حيث سبق ذكره في قوله : ﴿ النجم القمر الرحمن الواقعة ﴾ ، وإنّما جاء

---

(١) الكهف ٩٧

بالاسم الظاهر موضع الضمير لنكتة ؛ تتمثل في أنّ الغرض المسوق له الكلام هو المحافظة على كنز الغلامين حتّى يبلغا أشدهما ، فيأخذاه كاملا غير منقوص ، فلا يضيع بعضه في باطن الأرض تحت الجدار ، أو يغالبهما عليه أحد ، فيأخذ بعضه منهما ، فالاسم الظاهر فيه إشارة إلى أخذهما له كاملا ، ولو عبر بضميره لم تكن صورة الكنز بارزة بروزها بالاسم الظاهر .كما أنّ التعبير بالاسم الظاهر فيه دليل على بلوغ الغلامين أشدهما ، وصار لهما قدرة على استخراج كنزهما كاملا بسهولة ويسر ، ولو عبر بضميره لغاب هذا المعنى، وربّما يتوهم البعض أنّهما أخذاه منقوصا ، أو شق عليهما استخراجه فيما بعد.

الموضع الثاني في قوله : ﴿ الملك القلم الحاقة المعارج ﴾؛ حيث جاء بالاسم الظاهر﴿ الحاقة المعارج ﴾، وكان يمكن أن يأتي بضميره فيقول : " رحمة منه " ؛ حيث سبق ذكره في قوله:﴿ الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن ﴾ ، أقول : مجيء الظاهر موضع الضمير في هذا المقام ، يعكس أدب الخضر مع ربّه ـ عزَّ وجلّ ـ بأن يذكره باسمه الظاهر دون ضميره ، أيضا فيه إشارة إلي فقر الغلامين إلى ربّهما ، بعد أن بلغا أشدهما ، فمن تمام عناية الله ـ تعالى ـ بهما أن يظل ربُّهما يرعاهما ، ولولا عنايته لهما لغلبهما القوم على كنزهما حتّى بعد أن يبلغا أشدهما ، فكما كان الاسم بارزا في أوّل الكلم فخلع على المعنى عناية ورعاية ورحمة ، وجب كذلك أن يبقى الاسم بارزا حتّى تظلّ العناية والرحمة محيطة بالغلامين . فحضور الاسم الظاهر كان بمثابة طوق النجاة للغلامين .

ولا يخفى على القاريء سرُّ تعريف المسند إليه باسم الإشارة " ذلك " في قوله . تعالى . ﴿ ﴾ ، إنّ التعريف بالإشارة فيه تلخيص للأحداث السابق ذكرها ، فقد طوى المتكلم كلَّ الجمل السابقة ، وأغناه عن إعادتها اسم الإشارة ، وهذا إيجاز يقتضيه المقام ، نكتة أخرى تتمثل في أنّ التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد فيه معنى التعظيم ، أي هي أحداث عظيمة ، جرت بأمر من ربِّك ، وما فعله عن أمره.

بهذا تكون قد اكتملت أحداث تلك القصة الرائعة ، وظهر لموسى . عليه السلام . والسامعين ، الأسباب التى دعت الخضر . عليه السلام . لخرق سفينة حُمِلا فيها بغير أجر ، وقتل غلاما بلا ذنب ، وأقام جدارا في قرية قومها لئام ، استطعماهم فأبو أن يضيّفوهما ، فلمّا عُرِفت الأسباب يتحول الغضب إلى إعجاب ، والشدة إلى رحمة ، والعجلة في إصدار الحكم ، و أخذ الشيء على ظاهره إلى صبر وأناة حتّى تظهر بواطنه ، وتنجلي غوامضه ، ومن إعجاب المرء بعلمه إلي التأكد من أنّ فوق كلِّ ذي علم عليم .

وفي وقوع الأحداث السابقة دون غيرها لفتة طيبة أشار إليها ابن عطية بقوله : " الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر، حجة على موسى وعجبا له، وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة، نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم ، فلما أنكر أمر الغلام ، قيل له أين إنكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه ؟ فلما أنكر إقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب

دون أجر ؟ ."(١)

يقول أبو حيّان:" وَقَالَ أَرْبَابُ الْمَعَانِي: هَذِهِ الْأَمْثِلَةُ الَّتِي وَقَعَتْ لِمُوسَى مَعَ الْخَضِرِ حُجَّةٌ عَلَى مُوسَى وَإِعْجَالِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْكَرَ خَرْقَ السَّفِينَةِ نُودِيَ: يَا مُوسَى أَيْنَ كَانَ تَدْبِيرُكَ هَذَا وَأَنْتَ فِي التَّابُوتِ مَطْرُوحًا فِي الْيَمِّ؟ فَلَمَّا أَنْكَرَ قَتْلَ الْغُلَامِ قِيلَ لَهُ: أَيْنَ إِنْكَارُكَ هَذَا مِنْ وَكْزِ الْقِبْطِيِّ وَقَضَائِكَ عَلَيْهِ؟ فَلَمَّا أَنْكَرَ إِقَامَةَ الْجِدَارِ نُودِيَ أَيْنَ هَذَا مِنْ رَفْعِكَ الْحَجَرَ لِبَنَاتِ شُعَيْب دُونَ أُجْرَة ؟ سَأُنَبِّئُكَ فِي مَعَانِي هَذَا مَعَكَ وَلَا أُفَارِقُكَ حَتَّى أُوَضِّحَ لَكَ ما استبهم عليك."(٢)

بهذه البضاعة المزجاة نكون قد انتهينا من ذكر أهم الخصائص البلاغية التي تميّزت بها تلك القصة المباركة ، وأسأله تعالى العفو عمّا زلّ فيه العبد ، وكتب ما لا يرضيه تعالى ، وحسبنا أنه واسع الرحمة ، لا يحرم من اجتهد فأخطأ أجرا ، وهو مولانا ونعم النصير .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٣٣/٣

(٢) البحر المحيط ٧ /٢١٢

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فقد صاحبت قصة موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ زمنا غير قصير ، فخرجت بتلك البضاعة المزجاة ، التي أسأل الله ـ تعالى ـ لها القبول ، وقد تمخّضت تلك الدراسة عن نتائج مهمة ، منها :

أوّلا: كشف البحث عن وجود علاقة قوية بين آيات هذه القصة المباركة وما سبقها من آيات، فالصلة بينهما واضحة ، وليس كما قال البعض إنّ هذه القصة كلام مستأنف لا صلة له بما قبله ، ذكرت هذا في حديثي عن علاقة هذه الصلة بما قبلها ، فالقصة القرآنية نور يمتد أثره فيما قبلها وبعدها ، وإن غاب عنّا رؤيته فلا ينفي وجود الصلة ، فهي موجودة غيرأنّها تحتاج مزيدا من الصبر في بيانها .

ثانيا : أبرزت الدراسة أهمية الاهتمام باللفظة المفردة ، كما نهتم ببناء الجملة ؛ حيث إنّ القصة السابقة مشحونة بهذا الجانب البلاغي الممتع ، وقد رأينا ذلك في المغايرة بين الألفاظ ؛ لما يقتضيه السياق ، نحو قوله ـ تعالى ـ :﴿ التغابن الطلاق التحريم الملك ﴾ ، ثم عدل إلى ﴿ القارعة التكاثر العصر الهمزة ﴾ ، وقوله : ﴿ المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان ﴾ ، ومخالفته إلى ﴿ الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى : ﴿ بسم ﴾ بزيادة " لك " ، وكيف تحولت القرية في قوله ـ تعالى ـ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم صدق

آللَّهُ ﴾ إلي مدينة في قوله : ﴿ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ ﴾والمكان فيهما واحد ،و إثبات التاء في الفعل"تستطيع" في قوله . تعالى . ﴿ ﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ ﴾ وحذفها في قوله : ﴿ الأَنْعَامِ الْمُرْسَلاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانْفِطَارِ ﴾ ، و سرّ المخالفة في قول الخضر : ﴿ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ ﴾ إلى ﴿ يٰسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ ﴾ و ﴿ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلاقِ التَّحْرِيمِ ﴾ ، وغير ذلك الكثير مما حوته القصة المباركة.

ثالثا : أيضا نبّهت الدراسة على ضرورة الاهتمام بالحرف ؛ من جهة حذفه وذكره ، وأثر ذلك على المعنى ، وهو جانب من البحث متروك ، ولا يقل أهمية عن الكلمة ، جاء ذلك في حديثنا عن حذف الياء من آخر الفعل في قوله . تعالى . : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ ، فقد ذكر البعض أنّ الأولى إثبات الياء ، فبيّنت أنّ الأولى والأحسن ما قرأ به عاصم بحذف الياء ، وهو المناسب للسياق ،كما سبق بيانه في موضعه .

رابعا : اهتم البحث بضرورة العناية بتوجيه القراءات القرآنية في منهج التحليل البياني، حيث إنها ميدان خصب للبلاغة ، وإن كانت تحتاج جهدا وفيرا في توجيه القراءات التي تتوارد على الكلمة ، ومناقشة ما قيل فيها ، وتقديم بعضها على بعض ؛ لما يمليه السياق، وقد تعرض البحث لجانب من هذه الدراسة ، عند حديثنا عن الآيات التي اختلفت فيها القراءات .

خامسا : تطرق البحث إلي جانب صعب في تناوله ؛ ألاّ وهو مناقشة القدامي فيما قالوه ، وبيّن أنّه لامعصوم إلاّ الأنبياء ، فالكل نأخذ من كلامه ونرد إلاّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، جاء ذلك في حديثنا عن قوله ـ تعالى ـ " زكيّة " فقد ذكر الكسائي والفراء أنه لا فرق بين " زكيّة " والقراءة الأخري " زاكية" ، وقال أبو عمرو بن العلاء إنّ قراءة " زاكية "أحسن من " زكيّة " ، فأثبتت الدراسة البلاغية أنّ ما قرأ به حفص " زكيّة " أولى وأليق بالمقام .

وصل اللهم وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

ثبت المصادر والمراجع

١. أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء المتوفى: نحو ٥٠٥هـ ، المحقق: عبدالقادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض ، دار النشر: دار الفضيلة

٢. إعراب القرآن ، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي المتوفى: ٣٣٨هـ ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ،الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ تفسير البيضاوي ـ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى: ٦٨٥هـ ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى: ٨٥٢هـ ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ .

٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى المتوفى: ٨١٧هـ ، المحقق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء

التراث الإسلامي، القاهرة ، عام النشر: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٥. البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى: ٧٤٥هـ ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٦. البرهان في علوم القرآن ، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى: ٧٩٤هـ ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٧. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي المتوفى: ١٤٢٥هـ ، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦.

٨ . تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى: ٧٧٤هـ ، المحقق: محمد حسين شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ .

٩. تهذيب الأسماء واللغات ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى: ٦٧٦هـ الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٠. التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري المتوفى : ٦١٦هـ ، المحقق : علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١١. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من

تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى : ١٣٩٣هـ ، الناشر : الدار التونسية للنشر تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

١٢. التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي المتوفى: ١٣٨٥هـ الناشر: دار الشروق ، الطبعة: الطبعة السابعة عشرة.

١٣. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى: ٣١٠هـ ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى ، الناشر: مكتبة وهبة ، الطبعة: السابعة.

١٥. الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى: ٣٩٢هـ ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: الرابعة.

١٦. درة التنزيل وغرة التأويل ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفى: ٤٢٠هـ ، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين ، الناشر: جامعة أم القرى ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي المتوفى: ٧٥٦هـ ، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.

١٨. شرح المعلقات السبع ، لحسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبي عبد الله (المتوفى: ٤٨٦هـ) الناشر: دار احياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

١٩. صحيح البخاري =الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٠. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري المتوفى: ٢٦١هـ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٢٢. الفروق اللغوية ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري المتوفى: نحو ٣٩٥هـ ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٢٣. كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني المتوفى: ٨١٦هـ المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٢٤. كشف المعانى فى المتشابه من المثانى ، لأبي عبد الله، محمد

بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين المتوفى: ٧٣٣هـ ، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف الناشر: دار الوفاء - المنصورة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

٢٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المتوفى: ٥٣٨هـ ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

٢٦. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى المتوفى: ٧١١هـ ، الناشر: دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٢٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى إعجاز القرآن ومعترك الأقران، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٢٨. معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى: ٦٢٦هـ ، الناشر: دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م

٢٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المتوفى : ٥١٠هـ ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٣٠. معاني القرآن وإعرابه ، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق

الزجاج المتوفى: ٣١١هـ الناشر: عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣١. مفاتيح الغيب ، المؤلف: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى: ٦٠٦هـ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٣٢. من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ، الفاء ، ثم ، للأستاذ الدكتور : محمد الأمين الخضري ، الناشر مكتبة وهبة القاهرة .

٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى: ٥٤٢هـ ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٣٤. المسالك والممالك ، الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي المتوفى: ٣٨٠هـ ، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف.

٣٥. المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى: ٥٠٢هـ ، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ،

٣٦. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) ، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر: الجفان والجابي – قبرص الطبعة: الأولى،

١٤٠٧ - ١٩٨٧

٣٧. المؤتَلِف والمختَلِف ، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني المتوفى: ٣٨٥هـ ، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى: ٨٨٥هـ ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

محتويات البحث

الموضوع

. مقدمة .

. تمهيد.

أوّلا : القصة في القرآن الكريم.

ثانيا : التعريف بالخضر.

ثالثا : الآيات ومعناها إجمالا.

رابعا : علاقة هذه القصة بما قبلها .

. المحور الأوّل :

حديث موسى . عليه السلام . مع الفتى قبل لقاء الخضر.

. المحور الثاني :

لقاء موسى بالخضر . عليهما السلام . وحديثهما قبل الرحلة.

. المحور الثالث :

محاورتهما في الرحلة .

. المحور الرابع :

تأويل ما لم يستطع عليه صبرا .

. ثبت المصادر والمراجع .

. محتويات البحث .